الباب الرابع
في بيان الفرق التي انتسبت إلى الإسلام وليست منها

الكلام في هذا الباب يدور على اختلاف المتكلمين فيمن (٩٢ ب) يُعدُّ من أمة الإسلامية وملته.

وقد ذكرنا قبل هذا أن بعض الناس زعم أن اسم ملة الإسلام واقع على كل مقر بنبوة محمد ﷺ، وأن كل ما جاء به حق، كائنًا قوله بعد ذلك ما كان، وهذا اختيار الكعبي في مقالته.

وزعمت الكرامية أن اسم أمة الإسلام واقع على كل من قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله؛ سواء أخلص في ذلك أو اعتقد خلافه، وهذان الفريقان يلزمهما إدخال العيسوية من اليهود، والشاذكانية منهم في ملة الإسلام؛ لأنهم يقولون: لا إله إلا الله محمد رسول الله، ويزعمون أن محمدًا كان مبعوثًا إلى العرب، وقد أقروا بأن ما جاء به حق.

وقال بعض فقهاء أهل الحديث: اسم أمة الإسلام واقع على كل من اعتقد وجوب الصلوات الخمس إلى الكعبة، وهذا غير صحيح؛ لأن أكثر المرتدين الذين ارتدوا بإسقاط الزكاة في عهد الصحابة كانوا يرون وجوب الصلاة إلى الكعبة؛ وإنما ارتدوا بإسقاط وجوب الزكاة، وهم المرتدون من بني كنده وتميم.

فأما المرتدون من بني حنيفة وبني أسدٍ فإنهم كفروا من وجهين:

أحدهما: إسقاط وجوب الزكاة.

والثاني: دعواهم نبوة مسيلمة وطليحة، وأسقط بنو حنيفة وجوب صلاة الصبح وصلاة المغرب فازدادوا كفرًا على كفر.

والصحيح عندنا: أن اسم ملة الإسلام واقع على كل من أقر بحدوث العالم وتوحيد صانعه وقدمه، وأنه عادل حكيم مع نفي التشبيه والتعطيل عنه، وأقرَّ مع ذلك بنبوة جميع أنبيائهِ، وبصحة نبوة محمد ﷺ ورسالته إلى الكافة، وبتأييد شريعته، وبأن كل ما جاء به حق، وبأن القرآن منبع أحكام شريعته، وبوجوب الصلوات الخمس إلى الكعبة، وبوجوب الزكاة وصوم رمضان وحج البيت على الجملة.

فكل من أقرَّ بذلك فهو داخل في أهل ملة الإسلام وينظر فيهِ بعد ذلك (٩٣ أ)، فإن لم يخلط إيمانه ببدعة شنعاء تؤدي إلى الكفر فهو الموحد السني.

وإن ضمَّ إلى ذلك بدعة شنعاء نظر، فإن كان على بدعة الباطنية، أو البيانية، أو المغيرية، أو المنصورية، أو الجناحية، أو السبابية، أو الخطابية من الرافضة، أو كان على دين الحلولية، أو على دين أصحاب التناسخ، أو على دين الميمونية، أو اليزيدية من الخوارج، أو على دين الحايطية، أو الحمارية من القدرية، أو كان ممن يحرم شيئًا مما نصَّ القرآن على إباحته باسمه، أو أباح ما حرم القرآن باسمه، فليس هو من جملة أمة الإسلام؛ وإن كانت بدعته من جنس بدع الرافضة الزيدية، أو الرافضة الإمامية، أو من جنس بدع أكثر الخوارج، أو من جنس بدع المعتزلة، أو من جنس بدع النجارية، أو الجهمية، أو الضرارية، أو المجسمة من الأمة كان من جملة أمة الإسلام في بعض الأحكام؛ وهو أن يدفن في مقابر المسلمين. ويرفع إليه سهمه من الغنيمة إن غزا مع المسلمين، ولا يُمنع من دخول مساجد المسلمين، ومن الصلاة فيها، ويخرج في بعض الأحكام عن حكم أمة الإسلام؛ وذلك أنهُ لا تجوز الصلاة عليه ولا الصلاة خلفه، ولا تحل ذبيحته، ولا تحل المرأة منهم للسنى(١)، ولا

(١) كيف لا تحل المرأة منهم للسنى مع أنهم يسمون مسلمين ومع أن المسلم السني يصبح أن يتزوج غير مسلمة ما دامت مؤمنة؟

يصح نكاح السنية من أحد منهم.

والفرق المنتسبة إلى الإسلام في الظاهر مع خروجها عن جملة الأمة عشرون فرقةً هذه ترجمتها: سبابية وبيانية وحربية ومغيرية ومنصورية وجناحية وخطابية وغرابية ومفوضية وحلولية، وأصحاب التناسخ وحايطية وحمادية ومقنعية ورزامية ويزيدية وميمونية وباطنية وحلاجية وعذاقرية، وأصحاب إباحة، ربما انشعبت الفرقة الواحدة من هذه الفرق (٩٣ ب) أضنافًا كثيرة نذكرها على التفصيل في فصول مهدية إن شاء عزَّ وجلَّ.

الفصل الأول
في ذكر قول السبابية وبيان خروجها عن ملة الإسلام

السبابية: أتباع عبد الله بن سبا، الذي غلا في علي رضي الله عنه، وزعم أنه كان نبيًّا، ثم غلا فيه حتى زعم أنه إله، ودعًا إلى ذلك قومًا من غواة الكوفة، ورفع خبرهم إلى علي -رضي الله- عنه فأمر بإحراق قوم منهم في حُفرْتَين حتى قال بعض الشعراء في ذلك.

لِـتَرْم بي الحـوادث حيـث شـاءَتْ إذا لم تَـرْم بي في الحفـرتين

ثم إن عليًّا رضي الله عنه خاف من إحراق الباقين منهم شماتَةَ أهل الشام، وخاف اختلاف أصحابه عليه، فنفى ابن سبا إلى ساباط المدائن، فلما قتل علي رضي الله عنه زعم ابن سبا أن المقتول لم يكن عليًّا، وإنما كان شيطانًا تصور للناس في صورة علي، وأن عليًّا صعد إلى السماء كما صعد إليها عيسى بن مريم عليه السلام.

وقال: كما كذبت اليهود والنصارى في دعواها قتل عيسى، كذلك كذبت النواصب والخوارج في دعواها قتل علي، وإنما رأت اليهود والنصارى شخصًا مصلوبًا شبهوه بعيسى.

كذلك القائلون بقتل على رأوا قتيلًا يشبه عليًّا فظنوا أنه علي، وعلي قد صعدَ إلى السماء، وأنه سينزل إلى الدنيا، وينتقم من أعدائه.

وزعم بعض السبابية أنَّ عليًّا في السحاب، وأن الرعد صوتهُ والبرق صوتهُ، ومن سمع من هؤلاء صوت الرعد قال: عليك السلام يا أمير المؤمنين.

وقد رُوي عن عامر بن شراحبيل الشعبي أن ابن سبا قيل له: إن عليًّا قد قُتل فقال: إن جئتمونا بدماغه في صُرَّةٍ لم نصدق بموته، لا يموت حتى ينزل

من السماء، ويملك الأرض بحذافيرها، وهذه (٩٤ أ) الطائفة تزعم أن المهدي المنتظر إنما هو عليٌّ دون غيره.

وفي هذه الطائفة قال إسحاق بن سويد العدوي قصيدة بَرِئَ فيها من الخوارج والروافض والقدرية منها هذه الأبيات:

برئت من الخوارج لست منهم ... من الغزَّال منهم وابن باب
ومن قوم إذا ذكروا عليًّا ... يردون السلام على السحاب
ولكني أُحبُّ بكل قلبي ... وأعلم أن ذاك من الصواب
رسول الله والصديق حبًّا ... به أرجو غدًا حسنَ الثواب

وقد ذكر الشعبي أن عبد الله بن السوداء كان يعين السبابية على قولها.

وكان ابن السوداء في الأصل يهوديًّا من أهل الحيرة، فأظهر الإسلام وأراد أن يكون له عند أهل الكوفة سوق وريسة، فذكر لهم أنهُ وجد في التوراة أن لكل نبي وصيًّا، وأن عليًّا وصيُّ محمد، وأنه خير الأوصياء، كما أن محمدًا خير الأنبياء، فلما سمع ذلك منهُ شيعةُ عليٍّ قالوا لعليٍّ: إنه من محبيك فرفع عليٌّ قدره، وأجلسه تحت درجة منبره، ثم بلغه عند غلوه فيه فهم بقتله فنهاه ابن عباس عن ذلك، وقال لهُ: إن قتلتهُ اختلف عليك أصحابك، وأنت عازم على العود إلى قتال أهل الشام، وتحتاج إلى مداراة أصحابك، فلما خشي من قتله، ومن قتل ابن سبا الفتنة التي خافها ابن عباس نفاهما إلى المدائن فافتتن بهما الرعاع بعد قتل علي رضي الله عنه.

وقال لهم ابن السوداء: والله لينبعنَّ لعلي في مسجد الكوفة عينان تفيض إحداهما عسلًا، والأخرى سمنًا ويغترف منهما شيعتهُ.

وقال المحققون من أهل السنة: إن ابن السوداء كان على هوى دين اليهود، وأراد أن يفسد على المسلمين دينهم بتأويلاته في علي وأولاده (٩٤ ب)؛ لكي

يعتقدوا فيه ما اعتقدت النصارى في عيسى عليه السلام، فانتسب إلى الرافضة السبابية حين وجدهم أعرف أهل الأهواء في الكفر، ودلس ضلالته في تأويلاته.

قال عبد القاهر: كيف يكون من فرق الإسلام قوم يزعمون أنَّ عليًّا كان إلهًا أو نبيًّا؟ ولئن جاز إدخال هؤلاء في جملة فرق الإسلام جاز إدخال الذين ادعوا نبوة مسيلمة الكذاب في فرق الإسلام.

قلنا للسبابية: إن كان مقتول عبد الرحمن بن ملجم شيطانًا تصور للناس في صورة علي، فلم لعنتم ابن ملجم وهلَّا مدحتموه؟ فإنَّ قاتل الشيطان محمودٌ على فعله غيرُ مذمومٍ به.

وقلنا لهم: كيف يصح دعواكم أن الرعد صوت عليٍّ، والبرق صوته، وقد كان صوت الرعد مسموعًا، والبرق محسوسًا في زمن الفلاسفة قبل زمان الإسلام؛ ولهذا ذكروا الرعد والبرق في كتبهم واختلفوا في علتهما؟

ويقال لابن السوداء: ليس عليٌّ عندك وعند الذين تميل إليهم من اليهود أعظم رتبةً من موسى وهارون ويوشع بن نون، وقد صح موت هؤلاء الثلاثة، ولم ينبع لهم من الأرض عسل ولا سمن بحال نبوع الماء العذب من الحجر الصلد لموسى وقومه في التيه، فما الذي عصم عليًّا من الموت، وقد مات ابنه الحسين، وأصحابه بكربلاء عطشًا، ولم ينبع لهم ماء فضلًا عن عسل وسمن؟

الفصل الثاني

في ذكر البيانية من الغلاة وبيان خروجها عن فرَق الإسلام

هؤلاء أتباع بيان بن سمعان التميمي، وهم الذين زعموا أن الإمامة صارت من محمد بن الحنفية إلى ابنه أبي هشام عبد الله بن محمد، ثم صارت من أبي هاشم إلى بيان بن سمعان بوصيته إليه.

اختلف هؤلاء في بيان زعيمهم؛ فمنهم من زعم أنهُ كان نبيًّا، وأنهُ نسخ بعض شريعة محمد ﷺ.

ومنهم من زعم أنه كان إلهًا، وذكر هؤلاء أن بيانًا قال لهم: إن روح الإله (٩٥ أ) تناسخت في الأنبياء والأئمة حتى صارت إلى أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية، ثم انتقلت إليه منه يعني نفسه، فادعى لنفسه الربوبية على مذاهب الحلولية، وزعم أيضًا أنهُ هو المذكور في القرآن في قوله: ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٨]، وقال: أنا البيان وأنا الهدى والموعظة.

وكان يزعم أنهُ يعرف الاسم الأعظم، وأنهُ يهزم به العساكر، وأنه يدعو به الزهرة فتجيبه، ثم إنهُ زعمَ أن الإله الأزلي رجل من نور وأنهُ يفنى كله غير وجهه وتأول على زعم قوله: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [القصص: ٨٨]، وقوله: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧]، ورُفع خبر بيان هذا إلى خالد بن عبد الله القسري في زمان ولايته في العراق، فاحتال على بيان حتى ظفر به وصلبه، وقال له: إن كنت تهزم الجيوش بالاسم الذي تعرفه، فاهزم به أعواني عنك.

وهذه الفرقة خارجة عن جميع فرق الإسلام لدعواها إلاهية زعيمها بيان كما خرج عابدو الأصنام عن فرق الإسلام، ومن زعم منهم أن بيانًا كان نبيًّا

فهو كمن زعم أن مسيلمة كان نبيًّا، وكلا الفريقين خارجان عن فرق الإسلام.

ويقال للبيانية: إذا جاز فناء بعض الإله فما المانع من فناء وجهه؟ فأما قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] فمعناه راجع إلى بطلان كل عمل لم يقصد بهِ وجه الله عزَّ وجلَّ، وقوله ﴿وَيَبْقَىٰ﴾ معناه، ويبقى ربك؛ لأنهُ قال بعده: ﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ بالرفع على البدل من الوجه. ولو كان الوجه مضافًا إلى الرب لقال ذي الجلال بخفض ذي؛ لأن نعت المخفوض يكون مخفوضًا، وهذا واضح في نفسه والحمد لله على ذلك.

الفصل الثالث
في ذكر المغيرية من الغلاة
وبيان خروجها عن جملة فرق الإسلام

هؤلاء أتباع المغيرة بن سعيد العجلي، وكان يظهر في بدء أمره مولاة الإمامية، ويزعم أن الإمامة بعد علي والحسن والحسين إلى سبطه محمد بن عبد الله بن (٩٥ ب) الحسن بن الحسين بن الحسن بن علي.

وزعم أنه هو المهدي المنتظر، واستدل على ذلك بالخبر الذي ذكر أن اسم المهدي يوافق اسم النبي صلى الله عليه وسلم، واسم أبيه يوافق اسم أبي النبي عليه السلام، وقتلته الرافضة على دعوته إياهم إلى انتظار محمد بن عبد الله بن الحسين بن الحسن بن علي، ثم إنه أظهر لهم بعد رياسته عليهم أنواعًا من الكفر الصريح.

منها: دعواه النبوة ودعواه علمه بالاسم الأعظم، وزعم أنهُ يُحيي به الموتى ويهزم به الجيوش.

ومنها: إفراطه في التشبيه؛ وذلك أنه زعم أن معبوده رجل من نور على رأسه تاج من نور، وله أعضاء وقلب ينبع منه الحكمة.

وزعم أيضًا: أن أعضاءه على صور حروف الهجاء، وأن الألف منها مثال قدميه، والعين على صورة عينه وشبه الهاء بالفرج.

ومنها: أنه تكلم في بدء الخلق، فزعم أن الله تعالى لما أراد أن يخلق العالم تكلم باسمه الأعظم، فطار ذلك الاسم ووقع تاجًا على رأسه، وتأول على ذلك قوله: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١].

وزعم: أن الاسم الأعلى إنما هو ذلك التاج، ثم إنه بعد وقوع التاج على

رأسه كتب بأصبعه على كفه أعمال عباده، ثم نظر فيها فغضب من معاصيهم، فعرق فاجتمع من عرقه بحران: أحدهما مظلم مالح، والآخر عذب نير، ثم اطلع في البحر فأبصر ظلَّه فذهب؛ ليأخذه فطار فانتزع عيني ظله فخلق منهما الشمس والقمر، وأفنى باقي ظله، وقال: لا ينبغي أن يكون معي إله غيري، ثم خلق الخلق من البحرين، فخلق الشيعة من البحر العذب النير، فهم المؤمنون، وخلق الكفرة وهم أعداء الشيعة من البحر المظلم المالح.

وزعم أيضًا: أن الله تعالى خلق الناس قبل أجسادهم فكان أول ما خلق فيها ظل محمد قال: فذلك قوله: ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴾ [الزخرف: ٨١]. قال: ثم أرسل ظل محمد إلى إظلال الناس، ثم عرض على السماوات والجبال أن يمنعن علي بن أبي طالب من ظالميه فأبين ذلك (٩٦ أ) فعرض ذلك على الناس فأمر عمر أبا بكر أن يتحمل نصرة عليٍّ، ومنعه من أعدائه، وأن يغدر به في الدنيا، وضمن له أن يعينه على القدرية على شرط أن يجعل له الخلافة بعده ففعل أبو بكر ذلك.

قال: فذلك تأويل قوله: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب: ٧٢].

فزعم: أن الظلوم والجهول أبو بكر وتأول في عمر قول الله تعالى ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ ﴾ [الحشر: ١٦]. والشيطان عنده عمر، وكان المغيرة مع ضلالته التي حكيناها عنه يأمر أصحابه بانتظار محمد بن عبد الله بن الحسين بن الحسن بن علي، وسمع خالد بن عبد الله القسري يخبره وضلالاته فطلبه فلما قُتل المغيرة بقي أتباعه على انتظار محمد بن عبد الله بن الحسين بن الحسن، فلما أظهر محمد هذا دعوته بالمدينة بعث إليها أبو جعفر المنصور بصاحب جيشه عيسى بن موسى مع

جيش كثيف، فقتلوا محمدًا بعد غلبته على مكة والمدينة، وكان أخوه إبراهيم بن عبد الله قد غلب على أرض المغرب.

فأما محمد بن عبد الله بن الحسن فقتل بالمدينة في الحرب، وأما إبراهيم بن عبد الله بن الحسن فإنه غره يسير الرحال وأتباعه من المعتزلة، وضمنوا له النصرة على جند المنصور، فلما التقى الجمعان بناحمرى، وهي على ستة عشر فرسخًا من الكوفة قُتل إبراهيم، وانهزمت المعتزلة عنه، ولحقه شؤمهم وتولى قتالهم من أصحاب المنصور عيسى بن موسى، وسلم بن قتيبة، وأما أخوه الرئيس فإنه مات بأرض المغرب، وقيل: إنه سُمَّ.

وذكر بعض أصحاب التواريخ أن سليمان بن جرير الزيدي سمه، ثم هرب إلى العراق، فلما قتل محمد بن عبد الله بن الحسين بن الحسن اختلف المغيرية في المغيرة.

فهربت منه فرقة منهم ولعنوه، وقالوا: إنه كذب في دعواه أن محمد بن عبد الله بن الحسن هو المهدي الذي يملك الأرض؛ لأنهُ قتل ولم يملك الأرض ولا عشرها.

وفرقة ثبتت على موالاة المغيرة، وقالت: إن صدق في أن محمد بن عبد الله بن (٩٦ ب) الحسن هو المهدي المنتظر، وأنه لم يقتل بل هو في جبل من جبال حاجر مقيم إلى أن يؤمر بالخروج، فإذا خرج عقدت له البيعة بمكة بين الركن والمقام، ويحيى له سبعة عشر رجلًا، يعطي كل رجل منهم حرفًا واحدًا من حروف الاسم الأعظم؛ فيهزمون الجيوش ويملكون الأرض.

وزعم هؤلاء أن الذي قتله جند المنصور بالمدينة إنما كان شيطانًا تمثل للناس بصورة محمد بن عبد الله بن الحسين بن الحسن، وهؤلاء يقال لهم: المحمدية من الرافضة؛ لانتظارهم محمد بن عبد الله بن الحسين بن الحسن.

وكان جابر الجعفي على هذا المذهب، وادعى وصية المغيرة بن سعيد إليه بذلك، فلما مات جابر ادعى بكر الأعور الهجري القتات وصية جابر إليه، وزعم أنه لا يموت، وأكل بذلك أموال المغيرية على وجه السخرية منهم فلما مات بكر، علموا أنه كان كاذبًا في دعواه فلعنوه، قال عبد القاهر: كيف يعد في فرق الإسلام قوم شبهوا معبودهم بحروف الهجاء، وادعوا نبوَّة زعيمهم؟ لو كان هؤلاء من الأمة لصح قول من يزعم أن القائلين بنبوة مسيلمة وطلحة كانوا من الأمة.

ويقال للمغيرية إن أنكرتم قتل محمد بن عبد الله بن الحسين بن الحسن بن علي وزعمتم أن المقتول كان شيطانًا تصور في صورته، فبم تنفصلون ممن يزعم أن الحسين بن علي وأصحابه لم يقتلوا بكربلاء بل غابوا، وقتل شياطين تصوروا بصورتهم، فانتظروا حسينًا فإنه أعلى رتبة من ابن أخيه محمد بن عبد الله بن الحسين بن الحسن، أو انتظروا عليًّا، ولا تصدقوا بقتله كما انتظرته السبابية؛ فإن عليًّا أجلُّ من بنيه، وهذا ما لا انفصال لهم عنه.

الفصل الرابع
في ذكر الحربية وبيان خروجهم عن فرق الأمة

هؤلاء أتباع عبد الله بن عمرو بن حرب الكندي، وكان على دين البيانية في دعواها أن روح الإله تناسخت في الأنبياء والأئمة إلى أن انتهت إلى أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية (٩٧ أ)، ثم زعمت الحربية أن تلك الروح انتقلت من عبد الله بن محمد بن الحنفية إلى عبد الله بن عمرو بن حرب، وادعت الحربية في زعيمها عبد الله بن عمرو بن حرب مثل دعوى البيانية في بيان بن سمعان، وكلتا الفرقتين كافرة بربها وليست من فرق الإسلام؛ كما أن سائر الحلولية خارجة عن فرق الإسلام.

الفصل الخامس

في ذكر المنصورية وبيان خروجها عن جملة فرق الإسلام

هؤلاء أتباع أبي المنصور العجلي، الذي زعم أن الإمامة دارت في أولاد علي حتى انتهت إلى أبي جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي المعروف بالباقر، وادعى هذا العجلي أنه خليفة الباقر، ثم ألحد في دعواه فزعم أنه عُرِجَ به إلى السماء، وأن الله تعالى مسح بيده على رأسه وقال له: يا بني بلغ عني ثم أنزله إلى الأرض وزعم أنه الكسفُ الساقط من السماء المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ [الطور: ٤٤].

وكفرت هذه الطائفة بالقيامة والجنة والنار، وتأوَّلوا الجنة على نعيم الدنيا والنار على محن الناس في الدنيا، واستحلوا مع هذه الضلالة خنق مخالفيهم، واستمرت فتنتهم على عادتهم إلى أن وقف يوسف بن عمر الثقفي وأتى العراق في زمانه على عورات المنصورية، فأخذ أبا منصور العجلي وصلبه، وهذه الفرقة أيضًا غير معدودة في فرق الإسلام لكفرها بالقيامة والجنة والنار.

الفصل السادس

في ذكر الجناحية من الغلاة وبيان خروجها عن فرق الإسلام

هؤلاء أتباع عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وكان سبب اتباعهم لهُ أن المغيرية الذين تبرَّءوا من المغيرة بن سعيد بعد قتل محمد بن الحسين بن الحسن بن علي، خرجوا من الكوفة إلى المدينة يطلبون إمامًا فلقيهم عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر فدعاهم إلى نفسه، وزعم أنه هو الإمام بعد علي وأولاده من صلبه فبايعوه على إمامته.

ورجعوا إلى الكوفة وحكوا لأتباعهم أن عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر زعم أنه رب، وأن روح الإله كانت في آدم ثم في شيث ثم دارت (٩٧ ب) للناس بتلك الصورة.

وزعموا أيضًا أن كل مؤمن يوحى إليه، وتأوَّلوا على ذلك قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٤٦] أي: ويوحى منه إليه، واستدلوا أيضًا بقوله ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ﴾ [المائدة: ١١٤] وادعوا في أنفسهم أنهم هم الحواريون.

وذكروا قول الله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨]، وقالوا: إذا جاز الوحي إلى النحل فالوحي إلينا أولى بالجواز.

وزعموا أيضًا أن فيهم من هو أفضل من جبريل وميكائيل ومحمد، وزعموا أيضًا أنهم لا يموتون، وأن الواحد منهم إذا بلغ النهاية في دينه رفع إلى الملكوت، وزعموا أنهم يرون المرفوعين منهم غدوة وعشية.

الفرقة الثالثة منهم عجرية أتباع عمير بن بيان العجلي، قالوا: بتكذيب الذين قالوا منهم: إنهم لا يموتون، وقالوا: إنا نموت، ولكن لا يزال خلف

منا في الأرض أئمة أنبياء وعبدوا جعفرًا وسموه ربًّا.

والفرقة الرابعة منهم مفضلية لانتسابهم إلى رجل كان يقال له: مفضل الصيرفيّ، قالوا: بإلهية جعفر دون نبوته وتبرَّءوا من أبي الخطاب لبراءة جعفر منه.

والفرقة الخامسة منهم خطابية مطلقة ثبتت على موالاة أبي الخطاب في دعاويه كلها، وأنكرت إمامة مَن بعده، قال عبد القاهر: إن الباضية والمنصورية والجناحية والخطابية قد أكفروا أبا بكر وعمر وعثمان وأكثر الصحابة؛ بإخراجهم عليًّا من الإمامة في عصرهم، وهم قد أخرجوا الإمامة عن أولاد علي في أعصار زعمائهم.

فيقال لهم: إذا كان علي في وقته أولى بالإمامة من سائر الصحابة فهلا كان أولاده أولى بها من زعمائهم في أعصارهم، وليس العجب من هؤلاء الضالين وإنما العجب من علوية قتلوا هؤلاء مع استبدادهم دونهم بالإمامة.

الفصل السابع
في ذكر الغرابية والمفوضة والذمية
وبيان خروجهم عن فرق الأمة

الغرابية: قوم زعموا أن الله -عَزَّ وجَلَّ- (٩٨ أ) أرسل جبريل -عليه السلام- إلى علي فغلط في طريقه فذهب إلى محمد؛ لأنهُ كان يشبهه، وقالوا: كان أشبه به من الغراب بالغراب والذباب بالذباب.

وزعموا أن عليًّا كان الرسول، وأولاده بعده هم الرسل وهذه الفرقة تقول لأتباعها: العنوا صاحب الريش يعنون جبريل -عليه السلام- وكفر هذه الفرقة أكثر من كفر اليهود الذين قالوا لرسول الله ﷺ: من يأتيك بالوحي من الله تعالى؟ فقال: «جبريل». فقالوا: إنَّا لا نحب جبريل؛ لأنهُ ينزل بالعذاب، وقالوا: لو أتاك بالوحي ميخائيل الذي لا ينزل إلا بالرحمة لآمنا بك، فاليهود مع كفرهم بالنبي ﷺ، ومع عداوتهم لجبريل -عليه السلام- لا يلعنون جبريل، وإنما يزعمون أنه من ملائكة العذاب دون الرحمة.

والغرابية من الرافضة يلعنون جبريل ومحمدًا -عليهما السلام- وقد قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨]، في هذا تحقيق اسم الكافر لمبغض بعض الملائكة، ولا يجوز إدخال من سماهم الله كافرين في جملة فرق المسلمين.

وأما المفوضة من الرافضة: فقوم زعموا أن الله تعالى خلق محمدًا ثم فوض إليهِ تدبير العالم، وتدبيره فهو الذي خلق العالم دون الله تعالى، ثم فوض محمد تدبير العالم إلى علي بن أبي طالب فهو المدبر الثالث، وهذه الفرقة شر من المجوس الذي زعموا أن الإله خلق الشيطان ثم إن الشيطان خلق الشرور، وشر من النصارى الذين سموا عيسى -عليه السلام- مدبرًا ثانيًا فمن عد

مفوضة الرافضة من فرق الإسلام فهو بمنزلة من عد المجوس والنصارى من فرق الإسلام.

وأما الذمية: منهم فقوم زعموا أن عليًّا هو الله، وشتموا محمدًا، وزعموا أن عليًّا بعثه ليثني عنه فادعى الأمر لنفسه، وهذه خارجة عن فرق الإسلام لكفرها بنبوة محمد من الله تعالى (٩٨ ب).

الفصل الثامن
في ذكر الشريعية والنميرية من الرافضة

الشريعية: أتباع رجل كان يعرف بالشريعي، وهو الذي زعم أن الله تعالى حل في خمسة أشخاص وهم: النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين، وزعموا أن هؤلاء الخمسة آلهة ولها أضداد خمسة، واختلفوا في أضدادها فمنهم من زعم أنها محمودة؛ لأنه لا يعرف فضل الأشخاص التي فيها الإله إلا بأضدادها، ومنهم من زعم أن الأضداد مذمومة وحكى عن الشريعي أنه ادعى يومًا أن الإله حل فيه، وكان بعده من أتباعه رجل يعرف بالنميري حكي عنه أنه ادعى في نفسه أن الله تعالى حل فيه.

فهذه ثماني فرق من الروافض الغلاة خارجة عن جمع فرق الإسلام لإثباتهم إلى غير الله.

ومن أعجب الأشياء أن الخطابية زعمت أن جعفرًا الصادق قد أودعهم جلدًا فيه علم كل ما يحتاجون إليه من الغيب، وسموا ذلك الجلد جعفرًا، وزعموا أنه لا يقرأ ما فيه إلا من كان منهم، وقد ذكر ذلك هارون بن سعد العجلي في شعره فقال:

ألم تـرَ أن الرافـضين تفرقـوا ... فكلهـم مـن جعفـر قـال منكـرًا
فطائفـة قـالوا إلـه ومـنهم ... طوائـف سـمته النبـي المطَهَّـرا
ومـن عجـب لم أقـضه جلـد جعفـر ... برئـت إلى الـرحمن ممـن يجفعـرا
برئـت إلى الـرحمن مـن كـل رافـض ... يصير بباب الكفـر في الـدين أعـورا
إذا كف أهل الحق عـن بدعـة مـضوا ... عليهـا وإن يمـضوا إلى الحـق أقـصرا
ولو قيـل: إن الفيـل ضـب لـصدقوا ... ولـو قيـل: زنجـي تحـول أحمـرا
وأخلـف مـن يـوم البعـير فإنـه ... إذا هـو للإقبـال وُجِّـه أدبـرا
فقـبح أقـوام رمـوه بعزبـة ... كما قـال في عيـسى القـرا مـن تنصرا

الفصل التاسع

في ذكر أصناف الحلولية وبيان خروجها عن فرق الإسلام

الحلولية: في الجملة عشر فرق كلها كانت في دولة الإسلام، وغرض جميعها القصد إلى إفساد القول بتوحيد الصانع وتفضيل (٩٩ أ) فرقها في الأكثر يرجع إلى غلاة الروافض، وذلك أن السبابية والبيانية والجناحية والخطابية والنميرية منهم بأجمعها حلولية، وظهر بعدهم المقنعية بما وراء نهر جَيْحُون، وظهر قوم بمَرَق يقال لهم: رزامية، وقوم يقال لهم: بركوكية، وظهر بعدهم قوم من الحلولية يقال لهم: حلمانية وقوم يقال لهم: حلاجية، يُنْسَبُون إلى الحسين بن منصور المعروف الحلَّاج، وقوم يقال لهم: العذاقِرَة ينسبون إلى ابن أبي العذاقري.

وتبع هؤلاء الحلولية قوم من الخرمية شاركوهم في استباحة المحرمات وإسقاط المفروضات ونحن نذكر تفصيلهم على الاختصار، أما السبابية فإنما دخلت في جملة الحلولية لقولها بأن عليًّا صار إلهًا بحلول روح الإله فيه، وكذلك البيانية زعمت أن روح الإله دارت في الأنبياء والأئمة حتى انتهت إلى عليّ، ثم دارت إلى محمد بن الحنفية ثم صارت إلى ابنه أبي هاشم ثم حلَّت بعده في بيان بن سمعان، وادعوا بذلك إلهية بيان بن سمعان.

وكذلك الجناحية منهم حلولية لدعواها أن روح الإله دارت في علي وأولاده، ثم صارت إلى عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر فكفرت بدعواها حلول روح الإله في زعيمها، وكفرت مع ذلك بالقيامة والجنة والنار.

والخطابية كلها حلولية لدعواها حلول روح الإله في جعفر الصادق، وبعده في أبي الخطاب الأسدي، فهذه الطائفة كافرة من هذه الجهة، ومن جهة

دعواها أن الحسن والحسين وأولادهما أبناءُ الله وأحباؤه، ومن ادعى منهم في نفسه أنه من أبناء الله فهو أكفر من سائر الخطابية والشريعية.

والنميرية منهم حلولية لدعواها أن روح الإله حلَّت في خمسة أشخاص: النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين لدعواها أن هؤلاء الأشخاص الخمسة آلهة.

وأما الرزامية فقوم بمرو أفرطوا في موالاة أبي مسلم صاحب دولة (٩٩ ب) بني العباس، وساقوا الإمامة من أبي هاشم إليه ثم ساقوها من محمد بن علي إلى أخيه عبد الله بن عليٍّ السفاح، ثم زعموا أن الإمامة بعد السفاح صارت إلى أبي مسلم وأقرو مع ذلك بقتل أبي مسلم وموته إلَّا فرقة منهم يقال لهم: أبو مسلمية أفرطوا في أبي مسلم غاية الإفراط، وزعموا أنه صارت إلهًا بحلول روح الإله فيه.

وزعموا أبا مسلم خير من جبريل وميكائيل وسائر الملائكة، وزعموا أيضًا أن أبا مسلم حيٌّ لم يمت وهم على انتظاره، وهؤلاء بمرو وهرات بالبركوكية، فإذا سئل هؤلاء عن الذي قتله المنصور قالوا: كان شيطانًا تصور للناس في صورة أبي مسلم.

وأما المقنعية فهم المبيضة بماء وراء نهر جيحون، وكان زعيمهم المعروف بالمقنع رجلًا أعور فصاروا بمرو من أهل قرية يقال لها: (كازه كيمن دات) وكان قد عرف شيئًا من الهندسة والحيل والنيرنجات، وكان على دين الرزامية بمرو ثم ادَّعى لنفسه الإلهية، واحتجب عن الناس ببرقع من حرير، واغتر به أهل جبل أبلاق وقوم من الصعد.

ودامت فتنته على المسلمين مقدار أربع عشرة سنة، وعاونه كفرة الأتراك الخلجية على المسلمين للغارة عليهم. وهزموا عساكر كثيرة من عساكر

المسلمين في أيام المهدي بن المنصور، وكان المقنع قد أباح لأتباعه المحرمات، وحرم عليهم القول بالتحريم، وأسقط عنهم الصلاة والصيام وسائر العبادات، وزعم لأتباعه أنه هو الإله، وأنه كان قد تصور مرة في صورة آدم ثم تصور في وقت آخر بصورة نوح، وفي وقت آخر بصورة إبراهيم، ثم تردد في صور الأنبياء إلى محمد، ثم تصور بعده في صورة علي، وانتقل بعد ذلك في صور أولاده، ثم تصور بعد ذلك في صورة أبي مسلم.

ثم إنه زعم أنه في زمانه الذي كان فيه تصور بصورة هشام بن حكيم، وكان اسمه هاشم بن حكيم، وقال: إني إنما أنتقل في الصور؛ لأن عبادي لا يطيقون رؤيتي في صورتي التي أنا عليها، ومن رآني احترق بنوري.

وكان له حصن عظيم وثيق بناحية كثير ويحشب في جبل يقال له: سيام، وكان عرض جدار سورها أكثر من مائة آجرة دونها خندق (١٠٠ أ) كثيرة وكان معه أهل الصعد والأتراك الخلجية، وجهز المهدي إليهم صاحب جيشه معاذ بن مسلم في سبعين ألف من المقاتلة، وأتبعهم لسعيد بن عمرو الحرش، ثم أفرد سعيدًا بالقتال وبتدبير الحرب فقاتله سنين.

واتخذ سعيد من الحديد والخشب مائتي سلم ليضعها على عرض خندق المقنع؛ ليعبر عليها رجاله واستدعى من مولتان الهند عشرة آلاف جلد جاموس وحشاها رملًا وكبس بها خندق المقنع، وقاتل جند المقنع من وراء خندقه فأستأمن منهم إليه ثلاثون ألفًا، وقتل الباقون منهم، وأحرق المقنع نفسه في تنُّور في حصنه قد أذاب فيه النحاس مع السكر حتى ذاب فيه وافتتن بهِ أصحابه بعد ذلك؛ لما لم يجدوا له جثة ولا رمادًا.

وزعموا أنه صعد إلى السماء وأتباعه اليوم في جبال أبلاق أكره أهلها ولهم في كل قريةٍ من قراهم مسجدٌ لا يصلّون فيه، ولكن يكترون مؤذنًا يؤذن فيه،

وهم يستحلون الميتة والخنزير وكلُّ واحدٍ منهم يستمتع بامرأة غيره، وإن ظفروا بمسلم لم يره المؤذن الذي في مسجدهم قتلوه وأخفوه غير أنهم مقهورون بعامة المسلمين في ناحيتهم والحمد لله على ذلك.

وأما الحلمانية من الحلولية فهم المنسوبون إلى أبي حلمان الدمشقي، وكان أصله من فارس ومنشؤه حلب وأظهر بدعته بدمشق فنسب لذلك إليها، وكان كفره من وجهين:

أحدهما: أنه كان يقول بحلول الإله في الأشخاص الحسنة، وكان مع أصحابه إذا رأوا صورة حسنة سجدوا لها يوهمون أن الإله قد حل فيها.

والوجه الثاني: من كفره قوله بالإباحة ودعواه أن من عرف الإله على الوصف الذي يعتقده هو زال عنه الحظر والتحريم واستباح كل ما يستلذه ويشتهيه.

قال عبد القاهر: رأيت بعض هؤلاء الحلمانية يستدل على جواز حلول الإله في الأجساد بقول الله تعالى للملائكة في آدم ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩]، وكان يزعم أن الإله إنما أمر الملائكة بالسجود لآدم؛ لأنه كان قد حل في آدم وإنما حله؛ لأنه خلقه في أحسن تقويم ولهذا قال ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[التين: ٤] فقلت لهُ: (١٠٠ ب) أخبرني عن الآية التي استدللت بها في أمر الله الملائكة بالسجود لآدم -عليه السلام- والآية الناطقة بأن الإنسان مخلوق في أحسن تقويم، هل أريد بهما جميع الناس على العموم أم أريد بهما إنسان بعينه؟

فقال: ما الذي يلزمني على كل واحد من القولين إن قلت به؟ فقلت: إن قلت: إن المراد بهما كل الناس على العموم لزمك أن تسجد لكل إنسان، وإن كان قبيح الصورة لدعواك أن لإله حل في جميع الناس، وإن قلت: إن المراد

به إنسان بعينه؛ وهو آدم -عليه السلام- دون غيره فلم تسجد لغيره من أصحاب الصور الحسنة ولم تسجد للفرس الرابع، والشجرة المثمرة، وذوات الصور الحسنة من الطيور والبهائم، وربما كان لهب الناس في صورة، فإن استجزت السجود له فقد جمعت بين ضلالة الحلولية وضلالة عابدي النار، وإذا لم تسجد للنار، ولا للماء، ولا للهواء، ولا للسماء، مع حسن صور هذه الأشياء في بعض الأحوال فلا تسجد للأشخاص الحسنة الصور.

وقلت لهُ أيضًا: إن الصور الحسنة في العالم كثيرة وليس بعضها بحلول الإله فيه أولى من بعض، وإن زعمت أن الإله حال في جميع الصور الحسنة فهل ذلك الحلول على طريق قيام العرض بالجسم، أو على طريق كون الجسم في الجسم به، ويستحيل حلول عرض واحد في محال كثيرة، ويستحيل كون شيء واحد في أمكنة كثيرة، وإذا استحال هذا استحال ما يؤدي إليه.

وأما الحلاجية فمنسوبون إلى أبي المغيث الحسين بن منصور المعروف بالحلاج، وكان من أرض فارس من مدينة يقال لها: البيضاء، وكان في بدء أمره مشغولًا بكلام الصوفية، وكانت عباراته حينئذ من الجنس الذي تسميه الصوفية الشطح، وهو الذي يحتمل معنيين:

أحدهما: حسن محمود.

والآخر: قبح مذموم.

وكان يدعي أنواع العلوم على الخصوص والعموم، وافتتن به قوم من أهل بغداد، وقوم من أهل طالقان خراسان، وقد اختلف فيه المتكلمون والفقهاء الصوفية.

فأما المتكلمون فأكثرهم على تكفيره، وعلى أنه كان على مذاهب الحلولية،

وقبله قوم من متكلمي السالمية بالبصرة، ونسبوه إلى حقائق معاني الصوفية، وكان القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الأشعري (١٠١ أ) -رحمه الله- نسبه إلى معاطاة الحيل والمخاريق، وذكر في كتابه الذي أبان فيه عجز المعتزلة عن تصحيح دلائل النبوة على أصولهم مخاريق الحلاج ووجوه حيله.

واختلف الفقهاء أيضًا في شأن الحلاج؛ فتوقف فيه أبو العباس بنُ سريج لما استفتي في دمه، وأفتى أبو بكر بن داود بجواز قتله، واختلف فيه مشايخ الصوفية فبرئ منه عمرو بن عثمان المكي وأبو يعقوب الأقطع وجماعة منهم، وقال عمرو بن عثمان: كنت أماشيه يومًا فقرأت شيئًا من القرآن، فقال: يمكنني أن أقول مثله.

وروي أن الحلاج مر يومًا على الجنيد فقال له: أنا الحق. فقال الجنيد: أنت بالحق أية خشبة تفسدُ، فتحقق فيه ما قال الجنيد؛ لأنه صلب بعد ذلك، وقبله جماعة من الصوفية؛ منهم أبو العباس بن عطا ببغداد، وأبو عبد الله بن خفيف بفارس، وأبو القاسم النصراباذي بنيسابور وفارس الدينوري بناحيته.

والذين نسبوه إلى الكفر وإلى دين الحلولية حكوا عليه أنه قال: من هذب نفسه في الطاعة، وصبر على اللذات والشهوات ارتقى إلى مقام المقربين، ثم لا يزال يصفو ويرتقي في درجات المصافات حتى يصفو عن البشرية فإذا لم يبقَ فيه من البشرية حظ حل فيه روح الإله الذي حل في عيسى بن مريم، ولم يرد حينئذٍ شيئًا إلا كان كما أراد، وكان جميع فعله فعل الله تعالى.

وزعموا أن الحلاج ادعى لنفسه هذه الرتبة، وذكر أنهُ ظفروا بكتبٍ لهُ إلى أتباعه عنوانها من الهُوُ هو رب الأرباب المتصور في كل صورة إلى عبده فلان، فظفروا بكتب أتباعه إليه، وفيها يا ذات الذات، ومنتهى غاية الشهوات، نشهد أنك المتصور في كل زمان بصورة، وفي زماننا هذا بصورة الحسين بن

منصور، ونحن نستجير لك، ونرجو رحمتك يا علام الغيوب، وذكروا أنه استهال ببغداد جماعة من حاشية الخليفة، ومن حرمه حتى خاف الخليفة، وهو جعفر المقتدر بالله معرة فتنته فحبسه واستفتى الفقهاء في دمه، واستروح إلى فتوى أبي بكر بن داود بإباحة دمه فقدم إلى حامد بن العباس بضربه ألف سوط، ويقطع يديه ورجليه، وصلبه بعد ذلك عند جسر بغداد (١٠١ ب) ففعل بهِ ذلك يوم الثلاثاء لستٍ بقين من ذي القعدة سنة تسع وثلاثمائة، ثم أنزل من جذعه الذي صلب عليه بعد ثلاث، وأحرق وطرح رماده في الدجلة.

وزعم بعض المنسوبين إليه أنه حيٌّ لم يقتل، وإنما قتل من ألقى عليه شبههُ، والذين تولوه من الصوفية وزعموا أنه كشف له أحوال من الكرامة، فأظهرها للناس فعوقب بتسليط منكري الكرامات عليه لتبقى حاله على التلبيس.

وزعم هؤلاء أن حقيقة التصوف حال ظاهرها تلبيس وباطنها تقديس، واستدلوا على تقديس باطن الحلاج بما روي أنه قال عند قطع يديه ورجليه: حسب الواحد إفراد الواحد، وبأنه سئل يومًا عن ذنبه فأنشأ يقول: ثلاثة أحرف لا عجم فيها ومعجومان -وانقطع الكلام وأشار بذلك إلى التوحيد-

وأما العذاقرة فقوم ببغداد أتباع رجل ظهر ببغداد في أيام الراضي بن المقتدر في سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة، وكان معروفًا بابن أبي العذاقر، واسمه محمد بن علي السلمقاني، وادعى حلول روح الإله فيه، وسمَّى نفسه روح القدس، ووضح لأتباعه كتابًا سماه بالحاسة السادسة، وصرح فيه برفع الشريعة، وأباح اللواط، وزعم أنه إيلاج الفاضل نوره في المفضول، وأبح أتباعه له حرمهم طمعًا في إيلاجه نوره فيهنَّ.

وظفر الراضي بالله به وبجماعة من أتباعه منهم الحسين بن القسم بن عبيد

الله بن سليمان بن وهب وأبو عمران إبراهيم بن محمد بن أحمد بن المنجم، ووجد كتبهما إليه يخاطبانه فيها بالرب والمولى، ويصفانه بالقدرة على ما يشاء، وأقروا بذلك بحضرة الفقهاء ومنهم: أبو لعباس أحمد بن عمر بن سريج، وأبو الفرج المالكي، وجماعة من الأئمة فاعترفوا بذلك، وأمر بالمعروف منهم؛ بالحسين بن القسم بن عبيد الله، بالبراءة من ابن أبي العذاقر بأن يصفعه، ففعل ذلك، وأظهر التوبة، وأفتى ابن سريج بجواز قبول توبته على مذهب الشافعي -رحمه الله- وأفتى المالكيون برد توبة الزنديق بعد العثور عليه، فأمر الراضي بحبسه إلى أن ينظر في أمره وأمر (١٠٢ أ) بقتل ابن أبي العذاقر، وصاحبه أبي عون فقال له ابن أبي العذاقر: أمهلني ثلاثة أيام لينزل فيها براءتي من السماء، أو نقمة على أعدائي، وأشار الفقهاء على الراضي بتعجيل قتلهما فصلبهما ثم أحرقهما بعد ذلك، وطرح رمادهما في الدجلة.

الفصل الحادي عشر
في ذكر أصحاب الإباحة من الخزمية
وبيان خروجهم عن جملة فرق الإسلام

فهؤلاء صنفان

صنف: منهم كانوا قبل دولة الإسلام؛ كالمزدكية الذين استباحوا المحرمات، وزعموا أن الناس شركاء في الأموال والنساء، ودامت فتنة هؤلاء إلى أن قتلهم أنوشروان في زمانه.

والصنف الثاني: خرمدينية ظهروا في دولة الإسلام وهم فريقان: بابكية ومازيارية، وكلتاهما معروفة بالمحمِّرة.

فبالبابكية منهم أتباع بابك الخزي، الذي ظهر في جبل اليدين بناحية أذربيجان وكثر بها أتباعه واستباحوا المحرمات وقتلوا الكثير من المسلمين وجهز إليه خلفاء بني العباس جيوشًا كثيرة مع الفشين الحاجب ومحمد بن يوسف التعري وأبي دلف العجلي وأقرانهم، وبقيت العساكر في وجهه مقدار عشرين سنة إلى أن أخذ بابك وأخوه إسحاق بن إبراهيم وصلبا بعين من رأي في أيام المعتصم، واتهم الفشين الحاجب بمهالأة بابك في حربه وقتل لأجل ذلك.

وأما المازيارية منهم فهم أتباع مازيار، الذي أظهر دين المحمرة بجرجان، وللبابكية في جبلهم ليلة عيد لهم يجتمعون فيها على الخمر والزمر، وتختلط فيها رجالهم ونساؤهم، فإذا أطفأت سرجهم ونيرانهم افتض فيها الرجال النساء على تقدير من عزّ بزّ.

والبابكية ينسبون أصل دينهم إلى أمير كان لهم في الجاهلية اسمه شروين، ويزعمون أن أباه كان من الزنج، وأمه بعض بنات ملوك الفرس، ويزعمون

أن شروين كان أفضل من محمد ومن سائر الأنبياء، وقد بنوا في جبلهم مساجد للمسلمين يؤذن فيها المسلمون، وهم (١٠٢ ب) يعلّمون أولادهم القرآن لكنهم لا يصلون في السر ولا يصومون في شهر رمضان ولا يرون جهاد الكفرة.

وكانت فتنة مازيار قد عظمت في ناحيته إلى أن أخذ في أيام المعتصم أيضًا، وصلب بسر من رأى بحذاء بابك الخرّمي، وأتباع مازيار اليوم في جبلهم أكرة من يليهم من سواد جرجان، يظهرون الإسلام ويُضمرون خلافه، والله المستعان على أهل الزيغ والطغيان.

الفصل الثاني عشر
في ذكر أصحاب التناسخ من أهل الأهواء
وبيان خروجهم عن فرق الإسلام

القائلون بالتناسخ أصناف: صنف من الفلاسفة وصنف من السمنية، وهذان الصنفان كانا قبل دولة الإسلام؛ أحدهما من جملة القدرية، والآخر من جملة الرافضة الغالية.

فأصحاب التناسخ من السمنية؛ قالوا بقدم العالم وقالوا أيضًا: بإبطال النظر والاستدلال، وزعموا أنه لا معلوم إلا من جهة الحواس الخمس، وأنكر أكثرهم المعاد والبعث بعد الموت، وقال فريق منهم: بتناسخ الأرواح في الصور المختلفة، وأجازوا أن يُنقل روح الإنسان إلى كلب وروح الكلب إلى إنسان، وقد حكى أقلوطرخس مثل هذا القول عن بعض الفلاسفة.

وزعموا أن من أذنب في قالب ناله العقاب على ذلك الذنب في قالب آخر، وكذلك القول في الثواب عندهم، ومن أعجب الأشياء دعوى السمنية في التناسخ الذي لا يعلم بالحواس مع قولهم أنه لا معلوم إلَّا من جهة الحواس.

وقد ذهبت المانوية أيضًا إلى التناسخ، وذلك أن مانيا قال في بعض كتبه: إنَّ الأرواح التي تفارق الأجسام نوعان أرواح الصديقين وأرواح أهل الضلالة.

فأرواح الصديقين: إذا فارقت أجسادها سرت في عمود الصبح إلى النور الذي فوق الفلك، فبقيت في ذلك العلم على السرور الدائم.

وأرواح أهل الضلال: إذا فارقت الأجساد وأرادت اللحوق بالنور

الأعلى ردَّت منعكسة إلى السفل، فتتناسخ في أجسام الحيوانات إلى أن تصفو من شوائب الظلمة، ثم تلتحق بالنور العالي (١٠٣ أ).

وذكر أصحابُ المقالات عن سقراط وأفلاطون وأتباعهما من الفلاسفة أنهم قالوا بتناسخ الأرواح على تفصيل قد حكيناه عنهم في كتاب الملل والنحل.

وقال بعض اليهود: بالتناسُخ، وزعم أنه وجد في كتاب دانيال أن الله - تعالى- مسخَ بُخْتَنَصَّر في سبع صور من صور البهائم والسباع، وعذَّبه فيها كلها ثم بعثه في آخرها موحدًا.

وأما أهل التناسخ في دولة الإسلام فإن البيانيَّة والجناحيَّة والخطابيَّة والروانديَّة من الروافض الحلولية كلها قالت بتناسخ روح الإله في الأئمة بزعمهم، وأول من قال بهذه الضلالة السبابيَّة من الرافضة؛ لدعواهم أن عليًّا صار إلهًا حين حل روح الإله فيه.

وزعمت البيانيَّة منهم أن روح الإله دارت في الأنبياء ثم في الأئمة إلى أن صارت في بيان بن سمعان، وادعت الجناحيَّة منهم مثل ذلك في عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر، وكذلك دعوى الخطابية في ابن الخطاب، وكذلك دعوى قوم من الروانديَّة في أبي مسلم صاحب دولة بني العباس.

فهؤلاء يقولون بتناسخ روح الإله دون أرواح الناس، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

وأما أهل التناسخ من القدرية فجماعة منهم أحمدُ بن حايط، وكان معتزليًّا منتسبًا إلى النظام، وكان على بدعته في الفطرة، وفي نفي الجزء الذي يتجزأ، وفي نفي قدرة الله تعالى على الزيادة في نعيم أهل الجنَّة، أو في عذاب أهل النار،

وزاد على النظام في ضلالته في التناسخ، ومنهم أحمد بن أيوب بن يانوش، وكان تلميذ أحمد بن حايط في التناسخ، لكنهما اختلفا بعد في كيفية التناسخ، ومنهم محمد بن أحمد القحطي وافتخر بأنهُ كان منهم في التناسخ والاعتزال، ومنهم عبد الكريم بن أبي العوجاء وكان خال معن بن زائدة، وجمع بين أربعة أنواع من الضلالة:

الأول: أنهُ كان يرى في السر دين المانويَّة من الثنويَّة.

والثاني: قوله بالتناسخ.

والثالث: ميله إلى الرافضة في الإمامة.

والرابع: قولهُ بالقدر في أبواب التعديل والتحوير.

وكان وضع أحاديث كثيرةً بأسانيد يغتر بها من لا معرفةَ لهُ بالجَرْح والتعديل، وتلك الأحاديث التي وضعها كلها ضلالات في التشبيه (١٠٣ ب) والتعطيل وفي بعضها تغيير أحكام الشريعة، وهو الذي أفسد على الرافضة صوم رمضان بالهلال، وردهم عن اعتبار الأهلية بحساب وضعه لهم، ونسب ذلك الحساب إلى جعفر الصادق.

ورفع خبر هذا الضال إلى أبي جعفر بن محمد بن سليمان عامل المنصور على الكوفة فأمر بقتله فقال: لن يقتلوني لقد وضعت أربعة ألف حديث أحللت بها الحرام وحرمت بها الحلال وفطَّرت الرافضة في يوم من أيام صومهم وصوَّمتهم في يوم من أيام فطرهم.

وتفصيل قول هؤلاء في التناسخ أن أحمد بن حايط زعم أن الله -تعالى- أبدع خلقة أصحابه سالمين عقلاء بالغين في دار سوى الدنيا التي هم فيها اليوم، وأكمل عقولهم وخلق فيهم معرفته، والعلم به، وأسبغ عليهم نعمه،

وزعم أن الإنسان المأمور المنهي المنعم عليه هو الروح التي في الجسم، وأن الأجسام قوالب للأرواح. وزعم أن الروح هي الحي القادر العالم وأن الحيوان كله جنس واحد.

وزعم أيضًا أن جميع أنواع الحيوان محتملٌ للتكليف، وكان قد توجه الأمر والنهي عليهم على اختلاف صورهم ولغاتهم، وقال: إن الله تعالى لما كلفهم في الدار التي خلقهم فيها شكره على ما أنعم به عليهم، أطاعه بعضهم في جميع ما أمرهم به وعصاه بعضهم في جميع ما أمرهم به.

فمن أطاعه في جميع ما أمره به أقره في دار النعيم التي ابتدأه فيها، ومن عصاه في جميع ما أمره به أخرجه من دار النعيم إلى دار العذاب الدائم وهي النار، ومن أطاعه في بعض ما أمره به وعصاه في بعض ما أمره به أخرجه إلى الدنيا وألبسه بعض هذه الأجسام التي هي القوالب الكثيفة، وابتلاه بالبأساء والضراء والشدة والرجاء واللذات والآلام في صور مختلفة من صور الناس والطيور والبهائم والسباع والحشرات، وغيرها على مقادير ذنوبهم ومعاصيهم في الدار الأولى التي خلقهم فيها؛ فمن كانت معاصيه في تلك الدار أقل، وطاعاته أكثر كانت صورته في الدنيا أحسن.

ومن كانت طاعاته في تلك الدار أقل ومعاصيه (١٠٤ أ) أكثر صار قالبه في الدنيا أقبح، ثم زعم أن الحيوان الذي من الروح لا يزال في هذه الدنيا يتكرر في قوالب وصور مختلفة ما دامت طاعات مشوبة بذنوبه، وعلى قدر طاعاته وذنوبه يكون منازل قوالبه في الإنسانية والبيهمية ثم لا يزال من الله - تعالى- رسول إلى كل نوع من الحيوان، وتكليف للحيوان أبدًا إلى أن يتمحَّض عمل الحيوان طاعات فيرد إلى دار النعيم الدائم، وهي الدار التي خلق فيها، أو يمحض عمله معاصي فينقل إلى النار الدائم عذابها، فهذا قول ابن حايط في تناسخ الأرواح.

وقال أحمد بن أيوب بن بانوش: إن الله -تعالى- خلق الخلق كله دفعة واحدة، وحكى عنه بعض أصحابه أنَّ الله -تعالى- خلق أولًا الأجزاء المقدرة التي كل واحد منها جزءًا لا يتجزأ، وزعم أن تلك الأجزاء كانت أحياء عاقلة، وأن الله تعالى كان قد سوَّى بينهم في جميع أمورهم إذ لم يستحق واحد منهم تفضيلًا على غيره، ولا كان من أحد منهم جناية يؤخر لأجلها عن غيره

قال: ثم إنه خيرهم بين أن يمتحنهم بعد إسباغ النعمة عليهم بالطاعات؛ ليستحقوا بها الثواب عليها؛ لأن منزلة الاستحقاق أشرف من منزلة التفضيل، وبين أن يتركهم في تلك الدار تفضلًا عليه بها فاختار بعضهم المحبة وأباها بعضهم.

فمن أباها تركه في الدار الأولى على حاله فيها، ومن اختار الامتحان امتحنه في الدنيا، ولا امتحن الذين اختاروا الامتحان عصاه بعضهم وأطاعه بعضهم، فمن عصاه حطه إلى رتبة هي دون المنزلة التي خلقوا فيها، ومن أطاعه رفعه إلى رتبة أعلى من المنزلة التي خلق عليها، ثم كررهم في الأشخاص والقوالب إلى أن صار قوم منهم أناسًا وآخرون صاروا بهائم أو سباعًا بذنوبهم ومن صار منهم إلى البهيمية ارتفع عنه التكليف.

وكان يخالف ابن حايط في تكليف البهائم، ثم قال في البهائم: إنها لا تزال تتردد في الصور (١٠٤ ب) القبيحة وتلقى المكاره؛ من الذبح والتسخير إلى أن تستوفي ما تستحق من العقاب بذنوبها ثم تعاد إلى الحالة الأولى ثم يخيرهم الله -تعالى- تخييرًا ثانيًا في الامتحان، فإن اختاروه أعاد تكليفهم على الحال التي وصفناها، وإن امتنعوا منه تركوا على حالهم غير مكلفين.

وزعم أن من الملكفين من يعمل الطاعات حتى يستحق أن يكون نبيًّا أو ملكًا فيفعل الله تعالى ذلك به.

وزعم القحطي منهم أن الله -تعالى- لم يعرض عليهم في أول أمرهم التكليف بل هم سألوه الرفع عن درجاتهم، والتفاضل بينهم فأخبرهم بأنهم لا يصفون بذلك إلا بعد التكليف والامتحان، وأنهم وإن كلفوا فعصوا استحقوا العقاب؛ فأبوا الامتحان قال: فذلك قوله ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب: ٧٢] وزعم أبو مسلم الحراني أن الله تعالى خلق الأرواح، وكلف منها من علم أنه يطيعه دون من يعصيه وأن العصاة إنما عصوه ابتداءً فعوقبوا بالنسخ والمسخ في الأجساد المختلفة على مقادير ذنوبهم، فهذا تفصيل قول أصحاب التناسخ، وقد نقضنا عللهم في كتاب الملل والنحل بما فيه.

الفصل الثالث عشر
في بيان ضلالات الحايطية من القدرية
وبيان خروجهم عن فرق الأمة

هؤلاء أتباع أحمد بن حايط القدري وكان من أصحاب النَّظَّام في الاعتزال، وقد ذكرنا قوله في التناسخ قبل هذا، ونذكر في هذا الفصل ضلالاته في توحيد الصانع، وذلك أن ابن حايط وفضلًا الحدثي زعما أن للخلق ربين وخالقين:

أحدهما: قديم وهو الله سبحانُه.

والآخر: مخلوق وهو عيسى بن مريم، وزعما أن المسيح ابن الله على معنى النبي دون الولادة، وزعما أيضًا أن المسيح هو الذي يحاسب الخلق في الآخرة، وهو الذي عناه الله بقوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢].

وهو الذي يأتي ﴿فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠] وهو الذي خلق آدم على صورة نفسه، وذلك تأويل ما روي أن الله تعالى خلق إلهًا على صورة، وزعم أنه هو الذي عناه (١٥ أ) النبي ﷺ بقوله: «ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر» وهو الذي عناه بقوله: «إن الله تعالى خلق العقل فقال له: أقبل فأقبل وقال له: أدبر فأدبر فقال: ما خلقت خلقًا أكرم منك وبك أعطي وبك آخذ»، وقالا: إن المسيح تذرع جسدًا وكان قبل التذرع عقلًا.

قال عبد القاهر: قد شارك هذان الكافران الثنوية والمجوس في دعوى خالقين، وقولهم شر من قولهم؛ لأن الثنوية والمجوس أضافوا اختراع جميع الخيرات إلى الله -تعالى- وإنما أضافوا فعل الشرور إلى الظلمة وإلى الشيطان.

وأضاف ابن حايط وفضل الحدثي فعل الخيرات كلها إلى عيسى بن مريم

وأضافا إليه محاسبة الخلق في الآخرة، والعجب في قولهما أن عيسى خلق جده آدم -عليه السلام- فيا عجبًا من فرع يخلق أصله، ومن عد هذين الضالين من فرق الإسلام كمن عد النصارى من فرق الإسلام.

الفصل الرابع عشر
في ذكر الحمارية من القدرية
وبيان خروجهم عن فرق الأمة

هؤلاء قومٌ من معتزلة عسكر مكرم، اختاروا من بدع أصناف القدرية ضلالاتٍ مخصوصة؛ فأخذوا من ابن حايط قوله بتناسخ الأرواح في الأجساد والقوالب، وأخذوا من عباد بن سليمان الضميري قوله بأن الذين مسخهم الله قِردةً وخنازير كانوا بعد المسخ ناسًا، وكانوا معتقدين للكفر بعد المسخ، وأخذوا من جعد بن درهم الذي ضحى به خالد بن عبد الله القسري قوله بأن النظر الذي يوجب المعرفة تكون تلك المعرفة فعلًا لا فاعل لها.

ثم زعموا بعد ذلك أن الخمر ليست من فعل الله -تعالى- وإنما هي من فعل الحمار؛ لأن الله -تعالى- لا يفعل ما يكون سبب المعصية.

وزعموا أن الإنسان قد يخلق أنواعًا من الحيوانات كاللحم إذا دفنه الإنسان أو يضعه في الشمس فيُدَوِّد زعموا أن تلك الديدان من خلق الإنسان، وكذلك العقارب التي تظهر من التبن تحت الآجُرِّ زعموا أنها من اختراع من جمع بين الآجُرِّ والتبن وهؤلاء (١٠٥ ب) شرٌّ من المجوس الذين أضافوا اختراع الحيات والحشرات والسموم إلى الشيطان، ومن عدهم من فرق الأمة كمن عد المجوس من فرق الأمة.

الفصل الخامس عشر
في ذكر اليزيدية من الخوارج
وبيان خروجهم عن فرق الإسلام

هؤلاء أتباع يزيد بن أبي أنيسة الخارجي، وكان من البصرة، ثم انتقل إلى تون من أرض فارس، وكان على رأي الأباضية من الخوارج، ثم إنه خرج عن قول جميع الأمة لدعواه أن الله -عزَّ وجلَّ يبعث رسولًا من العجم، وينزِّل عليه كتابًا من السماء وينسخ بشرعة شريعة محمد ﷺ

وزعم أن أتباع ذلك النبي المنتظر هم الصابئون المذكورون في القرآن، فأما المسمون بالصابئة من أهل واسط وحرَّان فما هم الصابئون المذكورون في القرآن.

وكان مع هذه الضلالة يتولى من شهد لمحمد ﷺ بالنبوة من أهل الكتاب، وإن لم يدخل في دينه وسماهم بذلك مؤمنين وعلى هذا القول يجب أن يكون العيسويَّة والرعانيَّة من اليهود مؤمنين؛ لأنهم أقرَّوا بنبوة محمد -عليه السلام- ولم يدخلوا في دينه، وليس بجائز أن يعد في فرق الإسلام من يعد اليهود من المسلمين، وكيف يعد من فرق الإسلام من يقول بنسخ شريعة الإسلام؟

الفصل السادس عشر
في ذكر الميمونية من الخوارج
وبيان خروجهم عن فرق الإسلام

هؤلاء أتباع رجل من الخوارج الشخرية كان اسمه ميمونًا، وكان على مذهب العجاردة من الخوارج، ثم إنه خالف العجاردة في الإرادة والقدرة والاستطاعة، وقال في هذه الأبواب الثلاثة بقول القدرية المعتزلة عن الحق.

وزعم مع ذلك أن أطفال المشركين في الجنَّة، ولو بقي ميمون هذا على هذه البدع التي حكيناها عنهُ، ولم يَزد عليها ضلالة سواها لنسبناه إلى الخوارج لقوله بتكفير علي وطلحة والزبير وعائشة وعثمان.

وقوله بتكفير أصحاب الذنوب، وإلى القدرية لقوله في باب الإرادة والقدرة والاستطاعة بأقوال القدرية فيها (١٠٦ أ) ولكنه زاد على القدرية، وعلى الخوارج بضلالة اشتقها من دين المجوس، وذلك أنهُ أباح نكاح بنات الأولاد من الأجداد وبنات أولاد الإخوة والأخوات.

وقال: إنما ذكر الله تعالى في تحريم النساء بالنسب الأمهات والبنات والأخوات والعمات والخالات وبنات الأخ وبنات الأخوات، ولم يذكر بنات البنات ولا بنات البنين ولا بنات أولاد الإخوة ولا بنات أولاد الأخوات، فإن طرد قياسه في أمهات الأمهات وأمهات الآباء والأجداد المخض في المجوسية، وإن لم يجر نكاح الجدات وقاس الجدات على الأمهات لزمه قياس بنات الأولاد على بنات الصلب، وإن لم يطرد قياسه في هذا الباب نقض اعتلاله.

وحكى الكرابيسي عن الميمونية من الخوارج أنهم أنكروا أن تكون سورة يوسف من القرآن، ومنكر بعض القرآن كمنكر كله، ومن استحل بعض ذوات المحارم في حكم المحوس، ولا يكون المجوسي معدودًا في فرق الإسلام.

الفصل السابع عشر
في ذكر الباطنية
وبيان خروجهم عن جميع فرق الإسلام

اعلموا أسعدكم الله أن ضرر الباطنية على فرق المسلمين أعظم من ضرر اليهود والنصارى والمجوس عليهم، بل أعظم من مضرة الدهرية وسائر أصناف الكفرة عليهم، بل أعظم من ضرر الدجَّال الذي يظهر في آخر الزمان؛ لأن الذين ضلوا عن الدين بدعوة الباطنية من وقت ظهور دعوتهم إلى يومنا أكثر من الذين يضلون بالدجَّال في وقت ظهوره؛ لأن فتنة الدجَّال لا تزيد مدتها على أربعين يومًا.

وفضائح الباطنية أكثر من عدد الرمل والقطر، وقد حكى أصحاب المقالات أن الذين أسسوا دعوة الباطنية جماعة؛ منهم ميمون بن ديسان المعروف بالقداح، وكان مولى لجعفر بن محمد الصادق، وكان من الأهواز، ومنهم محمد بن الحسين الملقب بذيذان وميمون بن ديصان في سجن والي العراق أسسوا في ذلك السجن مذاهب الباطنية، ثم ظهرت دعوتهم بعد خلاصهم من السجن من جهة المعروف بذيذان، وابتدأ بالدعوة من ناحية، فدخل في دينه جماعة من أكراد الجبل مع أهل الجبل المعروف بالبدين.

ثم رحل ميمون بن ديصان إلى ناحية المغرب وانتسب في تلك الناحية إلى عقيل بن أبي طالب، وزعم أنه من نسله، فلما دخل في دعوته قوم من غلاة الرفض والحلولية منهم (١٠٦ ب) ادعى أنه من ولد محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق فقبل الأغبياء ذلك منه على أصحاب الانتساب بأن محمد بن إسماعيل بن جعفر مات، ولم يعقب، ثم ظهر في دعوته إلى دين الباطنية رجل يقال له: حمدان قرمط لقب بذلك لقرمطة في خطه أو في خطوه، وكان في ابتداء أمره أكَّارًا من أكرة سواد الكوفة، وإليه تنسب القرامطة ثم ظهر بعده

في الدعوة إلى البدعة أبو سعيد الجنابي.

وكان من مستجيبة حمدان، وتغلب على ناحية البحرين ودخل في دعوته بنو سنبر، ثم لما تمادت الأيام بهم ظهر المعروف منهم بسعيد بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن ميمون بن ديصان القداح فغير اسم نفسه ونسبه، وقال لأتباعه: أنا عبيد الله بن الحسن بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق.

ثم ظهرت فتنته بالمغرب وأولاده اليوم مستولون على أعمال مضر، وظهر منهم المعروف بابن كرويه بن مهرويه الدنداني، وكان من تلامذة حمدان قرمط، وظهر مأمون أخو حمدان قرمط بأرض فارس، وقرامطة فارس يقال لهم: المأمونية لأجل ذلك، ودخل أرض الديلم رجل من الباطنية يعرف بأبي حاتم؛ فاستجاب له جماعة من الديلم منهم أسفار بن شرويه.

وظهر بنيسابور داعية لهم يعرف بالشعراني، فقتل بها في ولاية أبي بكر بن محتاج عليها، وكان الشعراني قد دعا الحسين بن علي المروردي قام بدعوته بعده محمد بن أحمد النسفي داعية أهل ما وراء النهر وأبو يعقوب السجزلي المعروف ببندانه.

وصنف النسفي لهم كتاب المحصول وصنف لهم أبو يعقوب كتاب أساس الدعوة وكتاب تأويل الشرائع وكتاب كشف الأسرار، وقتل النسفي والمعروف ببندانه على ضلالتهما.

وذكر أصحاب التواريخ أن دعوة الباطنية ظهرت أولًا في زمان المأمون، وانتشرت في زمان المعتصم، وذكروا أنه دخل في دعوتهم الأفشين صاحب جيش المعتصم، وكان مراهنًا لبابك الخرمي، وكان الخرمي مستعصيًا بناحية البدين، وكان أهل جبله خرمية على طريقة المزدكية، فصارت الخرمية مع الباطنية يدًا واحدة، واجتمع مع بابك من أهل البدين وممن انضم إليهم من

الديلم مقدار ثلاثمائة ألف رجل.

وأخرج الخليفة لقتالهم الأفشين فظنه ناصحًا للمسلمين وكان في سره مع بابك وتوانى (١٠٧ أ) في القتال معه، ودله على عورات عساكر المسلمين، وقتل الكثير منهم.

ثم لحقت الأمداد بالأفشين، ولحق به محمد بن يوسف الثغري وأبو دُلَف القسم بن عيسى العجلي، ولحق به بعد ذلك قواد عبد الله بن طاهر، واشتدت شوكة البابكية والقرامطة على عسكر المسلمين، حتى بنوا لأنفسهم البلدة المعروفة ببيرزند؛ خوفًا من بيان البابكية.

ودامت الحرب بين الفريقين سنين كثيرة إلى أن أظفر الله المسلمين بالبابكية، فأُسر بابك وصلب بسرَّ من رأى[1] سنة ثلاث وعشرين ومائتين، ثم أُخِذ أخوه إسحاق، وصُلب ببغداد مع المازيار صاحب المحمرة بطبرستان وجرجان.

ولما قتل بابك ظهر للخليفة غدر الأفشين، وخيانته للمسلمين في حروبه مع بابك فأمر بقتله وصلبه فصُلب لذلك.

وذكر أصحاب التواريخ أن الذين وضعوا أساس دين الباطنيَّة كانوا من أولاد المجوس، وكانوا مائلين إلى دين أسلافهم، ولم يجسروا على إظهاره خوفًا من سيوف المسلمين، فوضع الأغمار منهم أساسًا من قبلها منهم صار في الباطن إلى تفصيل أديان المجوس، وتأوَّلوا آيات القرآن، وسنن النبي - عليه السلام - على موافقة أساسهم.

وبيان ذلك أن الثنوية زعمت أن النور والظلمة صانعان قديمًا؛ والنور

---

(١) موضع.

منهما فاعل الخيرات والمنافع، والظلام فاعل الشرور والمضار، وأن الأجسام ممتزجة من النور والظلمة، وكل واحد منهما مشتمل على أربع طبائع وهي: الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، والأصلان الأولان مع الطبائع الأربع مدبرات هذا العالم.

وشاركهم المجوس في اعتقاد صانعين غير أنهم زعموا أن أحد الصانعين قديمٌ وهو الإله الفاعل للخيرات والآخر شيطان محدث فاعل للشرور.

وذكر زعماء الباطنية في كتبهم أن الإله خلق النفس، فالإله هو الأول والنفس هو الثاني، وهما مدبرا هذا العالم، وسموهما الأول والثاني، وربما سموهما العقل والنفس، ثم قالوا: إنهما يدبران هذا العالم بتدبير الكواكب السبعة والطبائع الأُوَل.

وقولهم: إن الأول والثاني يدبران العالم هو بعينه قول المجوس بإضافة الحوادث صانعين؛ أحدهما قديم والآخر محدث، إلا أن الباطنية عبَّرت عن الصانعين بالأول والثاني (١٠٧ ب) وعبَّر المجوس عنهما بيزدان وأهْرَمن، فهذا هو الذي يدور في قلوب الباطنيَّة، ووضعوا أساسًا يؤدي إليه، ولم يمكنهم إظهار عبادة الثيران فاحتالوا بأن قالوا للمسلمين: ينبغي أن تجمَّر المساجد كلها، وأن تكون في كل مسجد مجمرة يوضع عليها الند والعود في كل حال.

وكانت البرامكة قد زينوا للرشيد أن يتخذ في جوف الكعبة مجمرة يتبخَّر عليها العود أبدًا فعلم الرشيدُ أنهم أرادوا من ذلك عبادة النار في الكعبة، وأن تصير الكعبة بيت نارٍ فكان ذلك أحد أسباب قبض الرشيد على البرامكة، ثم إن الباطنية كما تأوَّلت أصول الدين على الشرك احتالت أيضًا لتأويل أحكام الشريعة على وجوهٍ تؤدي إلى رفع الشريعة، أو إلى مثل أحكام المجوس، والذي يدل على أن هذا مرادهم بتأويل الشريعة أنهم قد أباحوا لأتباعهم

نكاح البنات والأخوات، وأباحوا شرب الخمر وجميع اللذات.

ويؤكد ذلك أن الغلام الذي ظهر منهم بالبحرين والإحساء بعد سليمان بن الجسين القرمطي سنَّ لأتباعه اللواط، وأوجب قتل الغلام الذي يمتنع على من يريد الفجور به، وأمر بقطع يد من أطفأ نارًا بيده، وبقطع لسان من أطفأها بنفخة، وهذا الغلامُ هو المعروفُ بابن أبي زكريا الطامي، وكان ظهورهُ في سنة تسع عشرة وثلاثمائة، وطالت فتنته إلى أن سَلَّط الله تعالى عليه من ذبحه على فراشه.

ويؤكد ما قلناه من ميل الباطنية إلى دين المجوس، أنَّا لا نجد على ظهر الأرض مجوسيًّا إلا وهو موادٌّ لهم، منتظر لظهورهم على الديار، يظنون أن الملك يعود إليهم بذلك، وربما استدل أغمارهم على ذلك بما يرويه المجوس عن زرادشت أنه قال لكتتاسب: إن المُلْكَ يزول عن الفرس إلى الروم واليونانية، ثم يعود إلى الفرس، ثم يزول عن الفرس إلى العرب، ثم يعود إلى الفرس، وساعده جاماسب المنجم على ذلك، وزعم أن المُلْكَ يعود إلى العجم لتمام ألف وخمسمائة سنة من وقت ظهور زرادشت.

وكان في الباطنية رجلٌ يعرف بأبي عبد الله العردي يدَّعي علم النجوم، ويتعصَّب للمجوس، وصنَّف كتابًا وذكر فيه أن القرن الثامن عشر من مولد محمد ﷺ (١٠٨ أ) يوافق الألف العاشر، وهو نوبة المشترى والقوس، وقال: عند ذلك يخرج إنسان يعيد الدولة المجوسية، ويستولي على الأرض كلها، وزعم أنه يملك مدة سبع قرانات، وقالوا: قد تحقق حكم زرادشت وجاماسب في زوال ملك العجم إلى الروم واليونانية في أيام الإسكندر، ثم عاد إلى العجم بعد ثلاثمائة سنة، ثم زال بعد ذلك مُلك العجم إلى العرب، وسيعود إلى العجم لتمام المدة التي ذكرها جاماسب.

وقد وافق الوقت الذي ذكروه أيام المكتفي والمقتدر، وأخلف موعودهم، وما رجع الملك فيه إلى المجوس، وكانت القرامطة قبل هذا الميقات يتواعدون فيما بينهم ظهور المنتظر في القِران السابع في المثلثة النارية، وخرج منهم سليمان بن الحسين من الإحياء على هذه الدعوى، وتعرض للحجيج، وأسرف في القتل منهم، ثم دخل مكة، وقتل من كان في الطواف، وأغار على أستار الكعبة، وطرح القتلى في بئر زمزم، وكسر عساكر كثيرة من عساكر المسلمين وانهزم في بعض حروبه إلى هجر فكتب للمسلمين قصيدة يقول فيها:

أغرَّكم مني رجوعي إلى هجَر ... عما قليل سوف يأتيكم الخبر
إذا طلع المريخ في أرض بابل ... وقارنه النجمات فالحذَر الحذَر
ألست أنا المذكور في الكُتُب كلها ... ألستُ أنا المبعوث في سورة الزمر
سأملك أهل الأرض شرقًا ومغربًا ... إلى قيروان الروم والترك والخزر

وأراد بالنجمين زحل والمشترى، وقد وجد هذا القِران في سني ظهوره، ولم يملك من الأرض شيئًا غير بلدته التي خرج منها، وطمع في أن يملك سبع قرانات، وما ملك سبع سنين بل قتل بهيت، رمتهُ امرأة من سطحها بلبنة على رأسه فدمغته، وقتيل النساء أخس قتيل وأهون فقيد.

وفي آخر سنة ألف ومائتين وأربعين للإسكندر تمَّ من تاريخ زرادشت ألف وخمسمائة سنة، وما عاد فيها ملك الأرض إلى المجوس، بل اتسع بعدها نطاق الإسلام في الأرض، وفتح الله تعالى للمسلمين بعدها بلاد بلاساعون وأرض التيب، وأكثر نواحي الصين ثم فتح لهم بعدها جميع أرض الهند من لمفات إلى قنوح، وصارت أرض الهند إلى سيتر سيقا بحرها من رقعة الإسلام في أيام أمين الدولة أمين الملة (١٠٨ ب) محمود بن سبكتين رحمه الله.

وفي هذا رغم أنوف الباطنية والمجوس الجاماسبية الذين حكموا بعود الملك إليهم، فذاقوا وبال أمرهم، وكان عاقبة أمانيهم بوارًا لهم بحمد الله

ومنّه، ثم إن الباطنية خرج منهم عبيد الله بن الحسن بناحية القيروان، وخدع قومًا من كتامه، وقومًا من المصامدة، وشرذمة من أغنام بربر بجبل ونيرنجات، أظهرها لهم كروية الخيالات بالليل من خلف الرداء والإزار، وظن الأغمار أنها معجزةٌ له فتبعوه لأجلها على بدعته، فاستولى بهم على بلاد المغرب.

ثم خرج المعروف منهم بأبي سعيد الحسين بن بهرام على أهل الإحساء والقطيف والبحرين، فأتى بأتباعه على أعدائه وسبى نساءهم وذراريهم، وأحرق المصاحف والمساجد، ثم استولى على هجر، وقتل رجالها، واستعبد ذراريهم ونساءهم، ثم ظهر المعروف منهم بالصناديقي باليمن، وقتل الكثير من أهلها حتى قتل الأطفال والنساء وانضم إليه المعروف منهم بابن الفضل في أتباعه ثم إن الله تعالى سلط عليهما وعلى أتباعهما الأكلة والطاعون فماتوا بهما.

ثم خرج بالشام حفيد لميمون بن ديصان يقال له: أبو القاسم بن مهرويه، وقالا لمن تبعهما هذا وقت ملكنا، وكان ذلك سنة تسع وثمانين ومائتين، فقصدهم سبك صاحب المعتضد فقتلوا سبكًا في الحرب، ودخلوا مدينة الرصافة، وأحرقوا مسجدها الجامع، وقصدوا بعد ذلك دمشق فاستقبلهم الحمامي غلام بن طيون، وهزمهم إلى الرقة، فخرج إليهم محمد بن سليمان كاتبُ المكتفي في جند من أجناد المكتفي فهزمهم، وقتل منهم الألوف، فانهزم الحسن بن زكريا بن مهرويه إلى الرملة فقبض عليه والي الرملة فبعث به وبجماعة من أتباعه إلى المكتفي فقتلهم ببغداد في الشارع بأشد عذاب، ثم انقطعت بقتلهم شوكة القرامطة إلى سنة عشر وثلاثمائة.

وظهر بعدها فتنة سليمان بن الحسن في سنة إحدى عشرة وثلاثمائة فإنه كبس فيها البصرة، وقتل أميرها سبكًا المقلجي، ونقل أموال البصرة إلى

البحرين، وفي سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة وقع على الحجيج في المتهيبر لعشرٍ بقين من المحرَّم، وقتل أكثر الحجيج وسبى لحرم والذاراي، ثم دخل الكوفة في سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة فقتل الناس، وانتهب الأموال (١٠٩ أ)، وفي سنة خمس عشرة وثلاثمائة حارب ابن أبي الساج، وأسره، وهزم أصحابه، وفي سنة سبع عشرة وثلاثمائة دخل مكة، وقتل من وجده في الطواف.

وقيل: إنه قتل بها ثلاثة آلاف، وأخرج منها سبعمائة بكر، واقتلع الحجر الأسود وحمله إلى البحرين، ثم ردفها إلى الكوفة، ورد بعد ذلك من الكوفة إلى مكة على يد أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن يحيى مزكي نيسابور في سنة تسع وعشرين وثلاثمائة، فلما ورد هيت رمته امرأةٌ من سطحها بلبنة فقتلته وانقطعت بعد ذلك شوكة القرامطة، وصاروا بعد قتل سليمان بن الحسن مبدرقين للحجيج من الكوفة والبصرة إلى سكة فحضاة، ومال مضمون لهم إلى أن غلبهم الأصغر العقيلي على بعض ديارهم.

وكانت ولاية مصر وأعمالها للإخشادية وانضم بعضهم إلى ابن عبيد الله الباطني الذي كان قد استولى على قيروان. ودخلوا على مصر سنة ثلاث وستين وثلاثمائة وابتنوا بها مدينة سموها القاهرة يسكنها أهل بدعته، وأهل مصر ثابتون على السنة إلى يومنا، وإن أطاعوا صاحب القاهرة في أداء خراجهم إليه.

وكان أبو شجاع فناخسرو بن بويه قد ذهب لقصد مصر، وانتزاعها من أيدي الباطنية، وكتب على أعلامه بالسواد: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد خاتم النبيين الطائع لله أمير المؤمنين ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين، وقال قصيدة أولها:

أما ترى الأقدار لي طوائعًا ... قواضيًا لي بالعيان كالخبر

ويشهد الأنام لي بأني ... ذاك الذي يرجَّى وذاك المنتظر

لنصرة الإسلام والداعي إلى خليفة الله الإمام المفتخر

فلما خرج مضاربه للخروج إلى مصر غامضه الأجل فمضى لسبيله فلما قضى (١٠٩ ب) فناخسرو نحبه طمع زعيم مصر في ملوك نواحي الشرق فكاتبهم يدعوهم إلى البيعة له، فأجاب قابوس بن وشمكين عن كتابه بقوله: إني لا أذكرك إلا على المستراح، وأجابه ناصر الدولة أبو الحسن محمد بن إبراهيم بن سيمجور بأن كتب على ظهر كتابه إليه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ [الكافرون: ١ -٢] إلى آخر السورة وأجابه نوح بن منصور والي خراسان بقتل دعاته إلى بدعته.

ودخل في دعوته بعض ولاة الجرجانية من أرض خوارزم فكان دخوله في دينه شؤمًا عليه في ذهاب ملكه، وقتله أصحابه، ثم استولى يمين الدولة وأمين الملة محمود بن سبكتكين على أرضهم، وقتل من كان بها من دعاة الباطنية، وكان أبو علي بن سيمجور قد وافقهم في السر فذاق وبال أمره في ذلك، وقبض عليه والي خراسان نوح بن منصور وبعث به إلى سبكتكين فقتل بناحية غزنه، وكان أبو القسم الحسن بن علي الملقب بدالشمند داعية أبي علي بن سيمجور إلى مذهب الباطنية، وظفر به بكفوزن صاحب جيش السامانية بنيسابور فقتله، ودُفِن في مكان لا يعرف، وكان أميرك الطوسي والي ناحية ثارويه قد دخل في دعوة الباطنية فأُسِر وحُمِل إلى غزنه وقتل بها في الليلة التي قُتِل فيها أبو علي بن سيمجور.

وكان أهل مولتان من أرض الهند داخلين في دعوة الباطنية فقصدهم محمود -رحمه الله- في عسكره، وقتل منهم الألوف، وقطع أيدي ألف منهم، وباد بذلك نُصَرَاء الباطنية من تلك الباطنية، ومن هذا بيان شؤم الباطنية على منتحليها فليعتبر بذلك المعتبرون، وقد اختلف المتكلمون في بيان أغراض الباطنية في دعوتها إلى بدعتها فذهب أكثرهم إلى أن غرض الباطنية الدعوة إلى

دين المجوس بالتأويلات التي يتأوَّلون عليها القرآن والسنَّة، واستدلوا على ذلك بأن زعيمهم الأول ميمون بن ديصان كان مجوسيًّا من سبي الأهواز، ودعا ابنه عبد الله بن ميمون الناس إلى دين أبيه.

واستدلوا أيضًا بأن داعيهم المعروف بالبزدهي قال في كتابه المعروف بالمحصول: إن المبدع (١١٠ أ) الأول أبدع النفس، ثم إن الأول والثاني مدبرا العالم بتدبير الكواكب السبعة، والطبائع الأربع، وهذا في التحقيق معنى قول المجوس أن اليزدان خلق أهرمن، وأنه مع أهرمن مدبران للعالم غير أن اليزدان فاعل الخيرات، وأهرمن فاعل الشرور.

ومنهم من نسب الباطنية إلى الصابئين الذين هم بحران، واستدل على ذلك بأن حمدان قرمط داعية الباطنية بعد ميمون بن ديصان كان من الصابئة الحرانية، واستدل أيضًا بأن صابئة حران يكتمون أديانهم، ولا يظهرونها إلا لمن كان منهم، والباطنية أيضًا لا يظهرون دينهم إلا لمن كان منهم بعد إحلافهم إياه على أن لا يذكر أسرارهم لغيرهم.

قال عبد القاهر: الذي يصح عندي من دين الباطنية أنهم دهرية زنادقة، يقولون بقدم العالم، وينكرون الرسل والشرائع كلها؛ لميلها إلى كل ما يميل إليه الطبع. والدليل على أنهم كما ذكرناه ما قرأته في كتابهم المترجم (السياسة والبلاغ الأكيد والناموس الأعظم) وهي رسالة عبيد الله بن الحسن القيرواني إلى سليمان بن الحسن بن سعيد الجناني أوصاه فيها بأن قال له: ادع الناس بأن تتقرب إليهم بما يميلون إليه، وأوهم كل واحد منهم بأنك منهم فمن آنست منه رشدًا فاكشف له الغطاء، وإذا ظفرت بالفلسفي فاحتفظ به فعلى الفلاسفة مُعَوَّلنا، وإنَّا وإياهم مجمعون على أن نواميس الأنبياء وعلى القول بقدم العالم لو لا ما يخالفنا فيه بعضهم من أن للعالم مدبرًا لا يعرفه، وذكر في هذا الكتاب إبطال القول بالمعاد والعقاب، وذكر فيه أن الجنة نعيم الدنيا وأن العذاب إنما

هو اشتغال أصحاب الشرائع بالصلاة والصيام والحج والجهاد. وقال أيضًا في هذه الرسالة، إن أهل الشرائع يعبدون إلهًا لا يعرفونه، ولا يحصلون منه إلا على اسم بلا جسم، وقال فيها أيضًا: أكرم الدهرية فإنهم منا ونحن منهم. وفي هذا تحقيق نسبة الباطنية إلى الدهرية.

والذي يؤكد هذا أن المجوس (١١٠ ب) يدَّعون نبوة زرادشت، ونزول الوحي عليه من الله -تعالى- والصابئين يدعون نبوة هرمس ووالس ودوروتيوس وأفلاطون وجماعة من الفلاسفة وسائر أصحاب الشرائع. كل صنف منهم مقرون بنزول الوحي من السماء على الذين أقروا بنبوتهم ويقولون: إن ذلك الوحي شامل للأمر والنهي والخبر عن عاقبة بعد الموت وعن ثواب وعقاب وجنة ونار، يكون فيها الجزاء عن الأعمال السالفة.

والباطنية يرفضون المعجزات، وينكرون نزول الملائكة من السماء بالوحي والأمر والنهي؛ بل ينكرون أن يكون في السماء مَلَك، وإنما يتأولون الملائكة على دعاتهم إلى بدعتهم ويتأولون الشياطين على مخالفيهم، والأبالسة على مخالفيهم. ويزعمون أن الأنبياء قوم أحبوا الزعامة فساسوا العامة بالنواميس والحيل طلبًا للزعامة بدعوى النبوة والإمامة. وكل واحد منهم صاحب دور مسبع إذا انقضي دوره سبعة تبعهم في دور آخر.

وإذا ذكروا النبي والوحي قالوا: إن النبي هو الناطق والوحي أساسه الفاتق، وإلى الفاتق تأويل نطق الناطق،على ما تراه يميل إليه هواه؛ فمن صار إلى تأويله الباطن فهو من الملائكة البررة، ومن عمل بالظاهر فهو من الشياطين الكفرة.

ثم تأولوا لكل ركن من أركان الشريعة تأويلًا يورث تضليلًا؛ فزعموا أن معنى الصلاة موالاة إمامهم والحج زيارته وإدمان خدمته.

والمراد بالصوم الإمساك عن إفشاء سر الإمام دون الإمساك عن الطعام. والزنى عندهم إفشاء سرهم بغير عهد وميثاق. وزعموا أن من عرف معنى العبادة سقط عنه فرضها، وتأولوا في ذلك قوله ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ [الحجر: ٩٩] وحملوا اليقين على معرفة التأويل.

وقد قال القيرواني في رسالته إلى سليمان بن الحسن: إني أوصيك بتشكيك الناس في القرآن والتوراة والزبور والإنجيل، وبدعوتهم إلى إبطال الشرائع، وإلى إبطال المعاد والنشور من القبور، وإبطال الملائكة في السماء، وإبطال الجن في الأرض، وأوصيك (١١١ أ) بأن تدعوهم إلى القول بأنه قد كان قبل آدم بشر كثير فإن ذلك عون لك على القول بقدم العالم. وفي هذا تحقيق دعوانا على الباطنية.

إنهم دهرية يقولون بقدم العالم ويجحدون الصانع. ويدل على دعوانا عليهم القول بإبطال الشرائع أن القيرواني قال أيضًا في رسالته إلى سليمان بن الحسن: وينبغي أن تحيط علمًا بمخاريق الأنبياء ومناقضاتهم في أقوالهم كعيسى بن مريم قال لليهود: لا أرفع شريعة موسى ثم رفعها بتحريم الأحد بدلًا من السبت، وأباح العمل في السبت وأبدل قبلة موسى بخلاف جهتها، ولهذا قتلته البلاد لما اختلفت كمته.

ثم قال لهُ: ولا تكن كصاحب الأمة المنكوسة حين سألوه عن الروح فقال: الروح من أمر ربي لما لم يحضره جواب المسألة. ولا تكن كموسى في دعواه التي لم يكن لهُ عليها برهان سوى المخرقة بحسن الحيلة والشعبذة؛ ولما لم يجد المحقُّ في زمانه عنده برهانًا قال لهُ: لئن اتخذت إلهًا غيري. وقال لقومه: أنا ربكم الأعلى لأنه كان صاحب الزمان في وقته.

ثم قال في آخر رسالته: وما العجب من شيء كالعجب من رجل يدعي

العقل ثم يكون له أخت أو بنت حسناء وليست له زوجة في حسنها فيحرمها على نفسه وينكحها من أجنبي، ولو عقل الجاهل لعلم أنه أحق بأخته وبنته من الأجنبي، ما وجه ذلك إلا أن صاحبهم حرَّم عليهم الطيبات وخوَّفهم بغائب لا يعقل وهو الإله الذي يزعمونه، وأخبرهم بكون ما لا يرونه أبدًا من البعث من القبور والحساب والجنة و النار حتى استعبدهم بذلك عاجلًا، وجعلهم لهُ في حياته، ولذريته بعد وفاته خَوَلًا واستباح بذلك أموالهم بقوله ﴿ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [الشورى: ٢٣] فكان أمره معهم نقدًا، وأمرهم معه نسيئة. وقد استعجل منهم بدل أرواحهم وأموالهم على انتظار موعود لا يكون.

.وهل الجنة إلا هذه الدنيا ونعيمها؟ وهل النار وعذابها إلا ما فيه أصحاب الشرائع من التعب والنصب في الصلاة والصيام والجهاد والحج؟

ثم قال (١١١ ب) لسليمان بن الحسن في هذه الرسالة: وأنت وإخوانك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس وفي هذه الدنيا ورثتم نعيمها، ولذاتها المحرمة على الجاهلين المتمسكين بشرائع أصحاب النواميس فهنيئًا لكم ما نلتم من الراحة على أمرهم. وفي هذا الذي ذكرناه دلالة على أن غرض الباطنية القول بمذاهب الدهرية واستباحة المحرمات وترك العبادات.

ثم إن الباطنية لهم في اصطياد الأغنام ودعوتهم إلى بدعتهم حيل على مراتب سموها التفرس والتأنيس والتشكيك والتعليق والربط والتدليس والتأسيس والمواثيق بالإيمان والعهود وآخرها الخلع والسلخ.

فأما التفرس فإنهم قالوا: من شرط الداعي إلى بدعتهم أن يكون قويًّا على التلبيس وعارفًا بوجوه تأويل الظواهر؛ ليردَّها إلى الباطن، ويكون مع ذلك مخيرًا بين من يجوز من يطمع فيه وفي إغوائه وبين من لا مطمع فيه. ولهذا قالوا

في وصاياهم للدعاة إلى بدعتهم: لا تتكلموا في بيت فيه سراج يعنون بالسراج من يعرف علم الكلام: ووجوه النظر والمقاييس.

وقالوا أيضًا لدعاتهم: لا تطرحوا بذركم في أرض سبخة. وأرادوا بذلك منع دعاتهم عن إظهار بدعتهم عند من لا يؤثر فيهم بدعتهم كما لا يؤثر البذر في الأرض السبخة شيئًا، وسموا قلوب أتباعهم الأغنام أرضًا زاكية؛ لأنها تقبل بدعتهم. وهذا المثل بالعكس أولى، وذلك أن القلوب الزاكية هي القابلة للدين القويم والصراط المستقيم وهي التي لا تصدأ بشبه أهل الضلال كالذهب الإبريز الذي لا يصدأ في الماء، ولا يبلى في التراب، ولا ينقص في النار.

والأرض السبخة كقلوب الباطنية وسائر الزنادقة الذين لا يزجرهم عقل، ولا يردعهم شرع منهم أرجاسٌ أنجاسٌ أموات غيرُ أحياءٍ ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤] وأقل حويلًا (١١٢ أ) قد قسم لهم الحظ من الرزق من قسم رزق الخنازير في مراعيها وأباح طعمة العنب في براريها ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]

وقالوا أيضًا: من شرط الداعي إلى مذهبهم أن يكون عارفًا بالوجوه التي تدعى بها الأصناف، فليست دعوة الأصناف من وجه واحد؛ بل لكل صنف من الناس وجه يدعى منه إلى مذهب الباطن. فمن رآه الداعي مائلًا إلى العبادات حمله على الزهد والعبادة، ثم سأله عن معاني العبادات وعلل الفرائض وشككه فيها، ومن رآه ذا مجون وخلاعة قال له: العبادة بلَهٌ وحماقة، وإنما الفطنة في نيل اللذات وتمثل لهُ بقول الشاعر:

من راقب الناس مات همًّا وفاز باللذة الجسورُ

ومن رآه شاكًّا في دينه، أو في المعاد والثواب والعقاب، صرح له بنفي

ذلك وحمله على استباحة المحرمات، واستروح معه إلى قول الشاعر الماجن:

أأتـــرك لـــذة الـــصهباء صرفًـــا ... لمـــا وعـــدوه مـــن لحـــم وخمـــرِ
حيـــاة ثـــم مـــوت ثـــم نـــشرٌ ... حـــديث خُرافـــةٍ يـــا أم عمـــرِو

ومن رآه من غلاة الرافضة؛ كالسبابية والبيانية والمغيرية والمنصورية والخطابية لم يحتج معه إلى تأويل الآيات والأخبار؛ لأنهم يتأولونها معهم على وفق ضلالتهم.

ومن رآه من الرافضة زيديًّا أو إماميًّا مائلًا إلى الطعن في أخبار الصحابة دخل عليه من جهة شتم الصحابة، وزين له بُغْض بني تيم؛ لأن أبا بكرٍ منهم، وبُغْض بني عدي لأن عمر بن الخطاب كان منهم. وحثَّه على بغض بني أمية؛ لأنه كان منهم عثمان ومعاوية، وربما استروح الباطني في عصرنا هذا إلى قول إسماعيل بن عباد:

دخـــول النـــار في حـــب الـــوصي ... وفي تفـــــضيل أولاد النبـــــيِّ
أحـــب إليَّ مـــن جنـــات عـــدنٍ ... أخلَّـــــدُها بتـــيم أو عـــديِّ

قال عبد القاهر: قد أجبنا هذا القائل بقولنا فيه:

أتطمـــع في دخـــول جنـــات عـــدنٍ ... وأنـــت عـــدُوُّ تـــيم أو عـــديِّ
وهـــم تركـــوك أشـــقى مـــن ثمـــودٍ ... وهم تركوك أفضح من دعيٍّ (١١٢ ب)
وفي نـــار الجحـــيم غـــدًا ستـــصلى ... إذا عـــاداك صـــديق النبـــيِّ

ومن رآه الداعي مائلًا إلى أبي بكر وعمر مدحهما عنده وقال: لهما حظٌّ في تأويل الشريعة. ولهذا استصحب النبي أبا بكر إلى الغار، ثم إلى المدينة، وأفضى إليه في الغار تأويل شريعته فإذا سأله الموالي لأبي بكر وعمر عن التأويل المذكور لأبي بكر وعمر أخذ عليه العهود والمواثيق في كتمان ما يظهره له.

ثم ذكر له على التدريج بعض التأويلات فإن قبلها منه أظهر لهُ الباقي،

وإن لم يقبل منه التأويل الأول ربطه في الباقي وكتمه عنه، وشك الغر من أجل ذلك في أركان الشريعة. والذي يروج عليهم مذهب الباطنية أصناف:

أحدها: العامة الذين قتلت بصائرهم بأصول العلم، والنظر كالنبط والأكراد وأولاد المجوس.

والصنف الثاني: الشعوبية الذين يرون تفضيل العجم على العرب، ويتمنون عود الملك إلى العجم.

والصنف الثالث: أغنام بني ربيعة من أجل غيظهم على مضر لخروج النبي منهم.

ولهذا قال عبد الله بن خازم السلمي في خطبته بخراسان: إن ربيعة لم تزل غضابًا على الله مذ بعث نبيه من مضر. ومن أجل حسد ربيعة لمضر بايعت بنو حنيفة مسيلمة الكذاب طمعًا في أن يكون في بني ربيعة نبيٌّ كما كان من بني مضر نبيٌّ.

فإذا استأنس الأعجمي الغر أو الربعي الحاسد المطز يقول الباطني لهُ: قومك أحق بالمُلْك من مضر سأله عن السبب في عود الملك إلى قومه فإذا سأله عن ذلك قال لهُ: إن الشريعة المضرية لها نهاية، وقد دنا انقضاؤها وبعد انقضائها يعود الملك إليكم ثم ذكر لهُ تأويل إنكار شريعة الإسلام على التدريج فإذا قبل ذلك منه صار ملحدًا خرسًا واستثقل العبادات واستطاب استحلال المحرمات. فهذا بيان درجة التفرس منهم.

ودرجة التأنيس قريبةٌ من درجة التفرس عندهم وهي تزيين ما عليه الإنسان من مذهبه في عينه، ثم سؤاله بعد ذلك عن تأويل ما هو عليه وتشكيكه إياه (١١٣ ا) في أصول دينه فإذا سألهُ المدعو عن ذلك قال: علم

ذلك عند الإمام، ووصل بذلك منه إلى درجة التشكيك حتى صار المدعو إلى اعتقاد أن المراد بالظواهر والسنن غير مقتضاها في اللغة، وهان عليه بذلك ارتكاب المحظورات وترك العبادات.

والربط عندهم تعليق نفس المدعو بطلب تأويل أركان الشريعة، فإما أن يقبل منهم تأويلها على وجه يؤول إلى رفعها، وإما أن يبقى على الشك والحيرة فيها.

ودرجة التدليس منهم قولهم للغر الجاهل بأصول النظر والاستدلال: إن الظواهر عذاب وباطنها فيه الرحمة. وذكر له قوله في القرآن ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣]. فإذا سألهم الغرُّ عن تأويل باطن الباب قالوا: جرت سنَّة الله -تعالى- في أخذ العهد والميثاق على رسله. ولذلك قال ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب: ٧] وذكروا له قوله ﴿وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ [النحل: ٩١] فإذا حلف الغرُّ لهم بالأيمان المغلظة وبالطلاق والعتق بسبيل الأموال فقد ربطوه بها. وذكروا له من تأويل الظواهر ما يؤدي إلى رفعها بزعمهم، فإن قبل الأحمق ذلك منهم دخل في دين الزنادقة باطلًا واستتر بالإسلام ظاهرًا. وإن نفر الحالف عن اعتقاد تأويلات الباطنية الزنادقة كتمها عليهم؛ لأنهُ قد حلف لهم على كتمان ما أظهروه لهم من أسرارهم. وإذا قبلها منهم فقد حلفوه وسلخوه عن دين الإسلام وقالوا لهُ حينئذٍ: إن الظاهر كالقشر والباطن كاللُّب، واللُّب خيرٌ من القشر.

قال عبد القاهر: حكى لهُ بعضُ من كان دخل في دعوة الباطنية. ثم وفقه الله -تعالى- (١١٣ ب) لرُشده وهداه إلى حل أيمانهم أنهم لما وثقوا منه بإيمانه قالوا له: إن المسمين بالأنبياء؛ كنوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد، وكل

من ادعى النبوة كانو أصحاب نواميس ومخاريق أحبوا الزعامة على العامة فخدعوهم بنيرنجات، واستعبدوهم بشرائعهم.

قال هذا الحاكي لي: ثم ناقض الذي كشف لي هذا السر بأن قال له: ينبغي أن تعلم أن محمد بن إسماعيل بن جعفر هو الذي نادى موسى بن عمران من الشجرة فقال له: ﴿ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ﴾ [طه: ١٢] قال فقلت: سخنت عينك تدعوني إلى الكفر برب قديم، الخالق للعالم، ثم تدعوني مع ذلك إلى الإقرار بربوبية إنسان مخلوق وتزعم أنه كان قبل ولادته إلهًا مرسلًا لموسى، فإن كان موسى عندك رزاقًا فالذي زعمت أنه أرسله أكذب، فقال لي: إنك لا تفلح أبدًا وندم على إفشاء أسراره إليَّ وتبتُّ من بدعتهم.

فهذا بيان وجه حيلهم على أتباعهم. وأما إيمانهم فإن داعيهم يقول للحالف جعلت على نفسك عهد الله ميثاقه وذمته وذمَّة رسله وما أخذ الله – تعالى– من النبيين من عهد ميثاقٍ أنك تستر ما تسمعه منِّي، وما تعلمه من أمري، ومن أمر الإمام الذي هو صاحب زمانك، وأمر أشياعه وأتباعه في هذا البلد، وفي سائر البلدان، وأمر المطيعين له من الذكور والإناث، فلا تظهر من ذلك قليلًا ولا كثيرًا ولا تظهر شيئًا يدل عليه من كتابة أو إشارة إلا ما أذن لك فيه الإمام صاحب الزمان أو أذن لك في إظهاره المأذون لهُ في دعوته فتعمل في ذلك حينئذٍ بمقدار ما يؤذن لك فيه. وقد جعلت على نفسك الوفاء بذلك وألزمته نفسك في حالتي: الرضا والغضب والرغبة والرهبة قال: نعم. فإذا قال نعم. قال لهُ: وجعلت على نفسك أن تمنعني وجميع من أسميه لك مما تمنع منه نفسك بعهد الله –تعالى– وميثاقه عليك (١١٤ ا) وذمته وذمة رسله وتنصحهم نصحًا ظاهرًا وباطنًا. وألا تخون الإمام وأولياءه، وأهل دعوته في أنفسهم، ولا في أموالهم. وأنك لا تتأول في هذه الأيمان تأويلًا ولا تعتقد ما يحلها. وأنك إن فعلت شيئًا من ذلك فأنت بريءٌ من الله ورسله وملائكته ومن جميع ما أنزل الله تعالى من كتبه. وأنك إن خالفت في شيء مما ذكرناه لك

فلله عليك أن تحج إلى بيته مائة حجة ماشيًا نذرًا واجبًا. وكل ما تملكه في الوقت الذي أنت فيه صدقة على الفقراء والمساكين. وكل مملوك يكون في ملكك يوم تخالف فيه أو بعده يكون حرًّا. وكل امرأة لك الآن أو يوم مخالفتك أو تتزوجها بعد ذلك تكون طالقًا منك ثلاث طلقات والله -تعالى- الشاهدُ على نيتك وعقد ضميرك فيما حلفتَ به.

فإذا قال نعم. قال له: كفى بالله شهيدًا بيننا وبينك، فإذا حلف الغرُّ بهذه الأيمان ظن أنه لا يمكن حلها. ولن يعلم الغرُّ أنه ليس لأيمانهم عندهم مقدارٌ ولا حرمةٌ وأنهم لا يرون فيها ولا في حلها إثمًا ولا كفارةً ولا عارًا ولا عقابًا في الآخرة. وكيف يكون لليمين بالله وبكتبه ورسله عندهم حرمةٌ؟ وهم لا يقرون بإله قديم بل يقرون بحدوث العالم ولا يثبتون كتابًا منزلًا من السماء، ولا رسولًا ينزل عليه الوحي من السماء. وكيف يكون لأيمان المسلمين عندهم حرمة؟ ومن دينهم أن الله الرحمن الرحيم إنما هو زعيمهم الذي يدعو إليه.

ومن مال منهم إلى دين المجوس زعم أن الإله نورٌ بإزائه شيطانٌ قد غلبه ونازعه في ملكه. وكيف يكون لنذر الحج والعمرة عندهم مقدارٌ؟ وهم لا يرون للكعبة مقدارًا ويسخرون بمن يحج ويعتمر، وكيف يكون للطلاق عندهم حرمة وهم يستحلون كل امرأة من غير عقد، فهذا بيان حكم الأيمان عندهم.

فأما حكم الأيمان عند المسلمين؛ فإنا نقول: كل يمين يحلف بها الحالف ابتداءً بطوعِ نفسهِ فهو على نيته وكل يمين (١١٤ ب) يحلف بها عند قاضٍ أو سلطان يحلِّفه ينظر فيها. فإن كانت يمينًا في دعوى لُمدع شيئًا على الحالف المنكر وكان المدعي ظالمًا للمدعى عليه فيمين الحالف على نيته، وإن كان المدعي محقًّا، والمنكر ظالمًا للمدعي فيمين المنكر على نية القاضي أو السلطان الذي أحلفه، ويكون الحالف خائنًا في يمينه.

وإذا صحت هذه المقدمة فالباحث عن دين الباطنية إذا قصد إظهار بدعتهم للناس أو أراد النقض عليهم معذور في يمينه، وتكون يمينه على نيته فإذا استثنى بقلبه مشيئة الله فيها لم ينعقد عليه إيمانُه، ولم يحنث فيها بإظهاره أسرار الباطنية للناس، ولم تطلق نساؤه ولا تعتق مماليكه ولا تلزمه صدقة بذلك.

وليس زعيم الباطنية عند المسلمين إمامًا، ومَنْ أظهر سرَّه لم يظهر سرَّ إمام، وإنما أظهر سرَّ كافرٍ زنديق، وقد جاء في ذكر الحديث المأثور: اذكروا الفاسق بما فيه يحذره الناس، فهذا بيان حيلتهم على الأغمار(١) بالأيمان.

فأما احتيالهم على الأغمار بالتشكيك فمن جهة أنهم يسألونهم عن مسائل من أحكام الشريعة يوهمونهم فيها خلاف معانيها الظاهرة، وربما سألوهم عن مسائل في المحسوسات يوهمون أن فيها علومًا لا يحيط بها إلَّا زعيمهم.

فمن مسائلهم قول الداعي منهم للغِرِّ: لِمَ صار للإنسان أُذنان ولسان واحد؟ ولِمَ صار للرجل ذكرٌ واحد وخصيتان؟ ولم صارت الأعصاب متصلة بالدماغ، والأوراد متصلة بالكبد، والشرايين متصلة بالقلب؟ ولِمَ صار الإنسان مخصوصًا بنبات الشعر على جفنيه؛ الأعلى والأسفل، وسائر الحيوان ينبت الشعرُ على جفنه الأعلى دون الأسفل؟ ولِمَ صار ثدي الإنسان على صدره، وثدي البهائم على بطونها؟ ولماذا لم يكن للفرس غدد(٢) ولا كِرْشٌ ولا كعب؟ وما الفرق بين الحيوان الذي يبيض ولا يلد والذي يلد ولا يبيض؟ وبماذا (١١٥ ا) يميز بين السمكة النهرية والسمكة البحرية؟ ونحو هذا كثير يوهمون أن العلم بذلك عند زعيمهم.

---

(١) الأغمار: جمع غمر والغمر من لم يجرب الأمور.
(٢) الغدد: جمع غدَّة وهي كل عقدة في الجسد، أطاب بها شحم.

ومن مسائلهم في القرآن؛ سؤالهم عن معاني حروف الهجاء في أوائل السور كقوله: المر، وحم، وطس، ويس، وطه، وكهيعص، وربما قالوا: ما معنى كل حرف من حروف الهجاء؟ ولم صارت حروف الهجاء تسعة وعشرين حرفًا؟ ولم عجم بعضها بالنقط، وخلا بعضها من النقط؟ ولم جاز وصل بعضها بما بعدها بحرف؟ وربما قالوا للغر: ما معنى قوله ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧]؟ ولم جعل الله -تعالى- أبواب الجنة ثمانية وأبواب النار سبعة؟ وما معنى قوله ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر: ٣٠] ؟ وما فائدة هذا العدد: وربما سألوا عن آيات أوهموا فيها التناقض. وزعموا أنه لا يعرف تأويلها إلا زعيمهم كقوله ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْئَلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن: ٣٩] مع قوله في موضع آخر ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٩٢]

ومنها مسائلهم في أحكام الفقه كقولهم: لم صارت صلاة الصبح ركعتين والظهر أربعًا والمغرب ثلاثًا؟ ولِمَ صار في كل ركعة ركوع واحد وسجدتان؟ ولم كان الوضوء على أربع أعضاء والتيمم على عضوين؟ ولم وجب الغسل من المني وهو عند أكثر المسلمين طاهرٌ؟ ولَمْ يجب الغسل من البول مع نجاسته عند الجميع؟ ولم أعادت الحائض ما تركت من الصيام ولم تعد ما تركت من الصلاة؟ ولم كانت العقوبة في السرقة بقطع اليد وفي الزنى بالجلد؟ وهلَّا قطع الفرج الذي به زنى في الزنى كما قطعت اليد التي بها سرق في السرقة؟ فإذا سمع الغرُّ منهم هذه الأسئلة، ورجع إليهم في تأويلها قالوا له: علمها عند إمامنا وعند المأذون لهُ في كشف أسرارنا، فإذا تقرر عند الغر (١١٥ ب) أن إمامهم، أو ما دونه هو العالم بتأويله اعتقد أن المراد بظواهر القرآن والسنة غير ظاهرها، فأخرجوه بهذه الحيلة عن العمل بأحكام الشريعة.

فإذا اعتاد ترك العبادة واستحل المحرمات كشفوا له القناع وقالوا لهُ: لو كان لنا إله قديمٌ غنيٌّ عن كل شيء لم يكن لهُ فائدة في ركوع العباد

وسجودهم، ولا في طوافهم حول بيت من حجرٍ، ولا في سعيٍ بين جبلين؛ فإذا قبل منهم ذلك فقد انسلخ عن توحيد ربه وصار جاحدًا لهُ زنديقًا.

قال عبد القاهر: والكلام عليهم في مسائلهم التي يسألون عنهم عند قصدهم إلى تشكيك الأغمار في أصول الدين من وجهين:

أحدهما: أن يقال لهم: إنكم لا تخلون من أحد أمرين: إما أن تقروا بحدوث العالم، وتثبتوا لهُ صانعًا قديمًا عالمًا حكيمًا يكون له تكليف عباده ما شاء كيف شاء، وإما أن تنكروا ذلك وتقولوا بقدوم العالم ونفي الصانع.

فإن اعتقدتم قدم العالم، ونفي الصانع فلا معنى لقولكم: لم فرض الله كذا؟ ولم حرم كذا؟ ولم خلق كذا؟ ولم جعل كذا على مقدار كذا؟ إذا لم تقروا بإلهٍ فرض شيئًا أو حرمه أو خلق شيئًا أو قدره، ويصير الكلام بيننا وبينكم كالكلام بيننا وبين الدهرية في حدوث العالم. وإن أقررتهم بحدوث العالم وتوحيد صانعه، وأجزتم له تكليف عباده ما شاء من الأعمال كان جواز ذلك جوابًا لكم عن قولكم لم فرض؟ ولم حرم كذا؟ لإقراركم بجواز ذلك منه إن أقررتم به، وبجواز تكليفه.

وكذلك سؤالهم عن خاصية المحسوسات يبطل إن أقروا بصانع أحدثها، وإن أنكروا الصانع فلا معنى لقولهم: لم خلق الله ذلك؟ مع إنكارهم أن يكون لذلك صانع قديم.

والوجه الثاني من الكلام عليهم: فيما سألوا عنه من عجائب خلق الحيوان، أن يقال لهم: كيف يكون زعماء الباطنية مخصوصين بمعرفة علل ذلك، وقد ذكرته الأطباء والفلاسفة في كتبهم وصنف (١١٦ أ) أرسطاطاليس في طبائع الحيوان كتابًا، وما ذكرت الفلاسفة من هذا النوع شيئًا إلا مسروقًا من حكماء العرب الذين كانوا قبل زمان الفلاسفة؛ من العرب

القحطانية والجرهمية والطسمية وسائر الأصناف الحميرية

وقد ذكرت العرب في أشعارها وأمثالها جميع طبائع الحيوان، ولم يكن في زمانها باطنيٌّ ولا زعيمٌ للباطنية وإنما أخذ أرسطاطاليس الفرق بين ما يلد وما يبيض من قول العرب في أمثالها: كل شرقاء ولودٌ وكل صكاء بيوضٌ؛ ولهذا كان الخفاش من الطير ولودًا لا بيوضًا؛ لأن لها أذنًا شرقاء. وكل ذات أذن صكاء بيوضٌ كالحية والضب(١) والطيور البائضة.

وذكر أبو عبيدة معمر بنُ المثنى وعبد الملك بن قريب الأصمعي أن العرب قالت بتحريمها في الجاهلية إن كل حيوان لعينيه أهداب على الجفن الأعلى دون الأسفل إلَّا الإنسان فإن أهدابه على الجفن الأعلى والأسفل. وقالوا كل حيوان ألقى في الماء يسبح فيه إلَّا الإنسان والقرد والفرس الأعسر فإنه يغرق فيه إلَّا أن يتعلم الإنسان السباحة. وقالوا في الإنسان: إنه إذا قطع رأسه وألقي في الماء انتصب قائمًا في وسط الماء. وقالوا كل طائر كفه في رجليه وكف الإنسان والقرد في اليد. وكل ذي أربع ركبتهُ في يده، وركبتا الإنسان في رجليه.

وقالوا ليس للفرس غُدَدٌ ولا كرشٌ ولا طحال ولا كعب. وليس للبعير مرارة. وليس للظليم مخٌ. وكذلك طيرُ الماء وحيتان البحر ليس لها ألسنٌ ولا أدمغه. وقد يكون حوت النهر ذا لسان ودماغ. وقالوا: إن السموك كلها لا رئة لها كذلك ولا تتنفس.

وقالت العرب من تجاربها: إنَّ الضأن تضع في السنة مرَّة وتفرد ولا تتيمُ. والماعز تضع في السنة مرتين وتضع الواحدة والاثنتين والثلاثة. والعدد والنماء

(١) الضب دويبة على حد فرخ التمساح الصغير، وذنبه كثير العقد ولذلك قالوا: أعقد من ذنب الضب.

والبركة في الضأن أكثر منها في الماعز.

وقالوا أيضًا: إذا رعت الضأن نبتًا وفصيلًا نبت ولا ينبت ما يأكله الماعز؛ لأن الضأن تقرضه بأسنانها والماعز تقلعه من أصله. وقالوا: إن الماعز إذا حملت أنزلت اللبن في (١١٦ ب) أول الحمل إلى الضرع والضائنية لا تنزل اللبن إلا عند الولادة.

وقالوا: إن أصوات الذكور من كل جنس أجهرُ من أصوات الإناث إلا المعزى فإن أصوات إناثها أجهر من أصوات ذكورها. ومن أمثال العرب في الحيوان فهو لهم: كل ثور أفطس وكل بعير أعلم وكل ذي ناب أفرج.

وقالوا بالتجربة: إن الأسد لا يأكل شيئًا حامضًا، ولا يدنو من النار، ولا يدنو من الحامض.

وقالوا إن حمل الكلب ستون يومًا فإن وضعت حملها لأقل من ذلك لم تكد أولادها تعيش. وقالوا: إن إناث الكلاب يحضنَ لسبعة أشهر. ثم إن الكلبة تحيض في كل سبعة أيام. وعلامة حيضها ورم أثغارها[1]. وقالوا في الكلب أنه لا يلقي من أسنانه شيئًا إلا الثامن.

وقالوا في الذئب: إنه ينام بإحدى عينيه ويحترس بالأخرى. ولذلك قال فيه حميد بن ثور:

ينـــام بإحـــدى مقلتيـــه ويتقـــي بـــأخرى المنايـــا فهـــو يقظـــان نـــائم

والأرنب تنام مفتوحة العينين، وقالوا ليس في الحيوان ما لسانه مقلوب إلا الفيل. وليس في ذوات الأربع ما ثديه على صدره إلا الفيل. وقالوا: إن الفيل تضع لسبع سنين والحمار لسنة والبقرة في ذلك كالمرأة. وقالوا في قضيب

---

(١) أسنانها.

الأرنب والثعلب: إنه عظم. وقالوا: كل ذي رجلين إذا انكسرت إحداهما قام على الأخرى وعرج إلَّا الظليم[1] فإنه إذا انكسرت إحدى رجليه جثم في مكانه. ولهذا قال الشاعر في نفسه وأخيه:

فـإني وإيـاه كـرجلي نعامـة على ما بنا من ذي غنًى وذي فقر

يريد أنه لا غنًى لأحدهما[2] عن صاحبه.

وقالا في النعامة: إنها تبيض من ثلاثين بيضة إلى أربعين لكنها تخرج ثلاثين منها تحضن عليها كخيط ممدود على الاستواء. وربما تركت بيضها وحضنت بيض غيرها. ولهذا قال فيها ابن هرَمة:

كتاركـةٍ بيـضها بـالعرا ء وملبسة بـيض أخـرى (١٧٧ أ)

قالوا في الفرج والفروج: أنهما يخلقان من البياض والصفرة غذاؤهما. وقالوا في القطا: إنها لا تضع إلَّا فردًا. وفي العقاب: إنها تضع ثلاث بيضات فتخرج بيضتين وتطرح واحدة فيخرجها الطير المعروف بكاسي العظام ولهذا قيل في المثل: أبر من كاسي العظام.

وقالوا في الضب: إنها تضع سبعين بيضة. ولكنها تأكل ما خرج من الحسولة عن البيض إلا الحسل[3] الذي يعدو ويهرب منها. ولهذا قالوا في المثل: أعقُّ من ضب، والضب لا يرد الماء، ولهذا قالوا في المثل: أروى من ضبٍ، وقالوا في الضب: إنه ذو ذكرين[4] وللأنثى من الضباب فرجان من قُبُل. وقالوا في الحية: لها لسانان ولسانها أسود على اختلاف ألوان قشرها، والحيات

---

(١) الظليم الذكر من النعام.
(٢) الأصل بإحداهما.
(٣) الحسل: ولد الضب حين يخرج من بيضه.
(٤) الأصل إنه ذكران

كلها تكره ريح السذاب[1] والبنفسج وتعجب بريح التفاح والبطيخ والجرو[2] والخردل واللبن والخمر.

وقالوا في الضفادع: إنها لا تصيح إلا وفي أفواهها الماء ولا تصيح في دجلة بحال، وإن صاحت في الفرات وسائر الأنهار. وقال الشاعر في الضفدع:

يدخل في الأشداق ما ينضفه[3] حتى ينق والنقيق يتلفه

يعني أن نقيقها يدل عليها الحية فتصيدها فتأكلها[4]. وقالوا إن الضفادع لا عظام لها، وقالوا في الجُعَل[5] إنه إذا دفن في الورد سكن كالميت فإذا أعيد إلى الروث[6] تحرك.

فهذا، وما جرى مجراه من خواص الحيوانات، وغيرها قد عرفته العرب في جاهليتها بالتجارب من غير رجوع منها إلى زعماء الباطنية، بل عرفوها قبل وجود الباطنية في الدنيا بأحقاب كثيرة، وفي هذا بيان كذب الباطنية في دعواها أن زعماءها مخصصون بمعرفة أسرار الأشياء وخواصها، وقد بينا خروجهم عن جميع فرق الإسلام بما فيه كفاية، والحمد لله على ذلك.

---

(١) السذاب: نبات.
(٢) الجرو: الصغير من القثاء والصغير من الحنظل والرمان.
(٣) من نضفه إذا شرب جميع ما فيه.
(٤) الأصل فتصيد فتأكله.
(٥) الجُعَل: ضرب من الخنافس تضر به ريح الورد.
(٦) الروث: زبل الفرس: وكل ذي حافر.